رواية
خوف الكبار
علي الجهيني
الكتاب يصنع حضارة

خوف الكبار

الكتـــــــاب	خوف الكبار/ علي الجهيني
المـــــــؤلف	الجهيني، علي
النـــــــوع	القصص العربية
تصميم الغلاف	جيهان متولي
الطبـــــــعة	الأولى/ القاهرة ٢٠١٢
عدد الصفحات	١٣٦ صفحة
المقـــــــاس	١٤×٢٠
تدمـــــــك	

١- القصص العربية

أ- العنوان

صرح للنشر والتوزيع | فكر يصنع حضارة

المدير العام: عبود مصطفى عبود

كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين (أ)

برج (٢) الدور العاشر.

ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(٢+)

البريد الإليكتروني	darsarh@gmail.com
الموقع الإليكتروني	www.dar-sarh.com
رقـــــم الإيداع	٢٠١١\١٧٠٩٥
التـــرقيم الدولي	978-977-6382-76-3

ديوي ٨١٣

حقوق النشر محفوظة للناشر

لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إليكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر

خوف الكبار

رواية

تأليف

علي الجهيني

إهداء

إلى ...

من أعشق هذا التراب تحت أقدامها

إلى روح روحي

أمي الغالية

المؤلف

للفساد وجوه عدة أرهقت كثيرًا هذا الوطن ولاتزال ترهقه وتشعر كما لو أن المجتمع كله أصبح فاسدًا وأفسد ما فيه نحن البشر، فهل نسينا الله فأنسانا أنفسنا أم ماذا حدث؟!

من هنا جاءت واقعية هذه الرواية، فأكثر ما جاء بها حدث ومازال يحدث، وما نسجته في محيط خيالي كان قليلا، أما قصة "سلمى" المريضة فهي قصة حقيقية لم أغير فيها إلا اسمها.

قد تبدو في عرضها قاسية للغاية، ولكنني ربما أصيب قارئي بصدمة إذا ما قلت أن واقع هذه الفتاة أكثر قسوة مما عرضت بكثير، لكنْ أبى قلمي أن يكتب عنها المزيد، وأكتفيت بيني وبين نفسي بالدعاء لها، وهذا مطلبي الوحيد من كل من يقرأ هذا العمل.

ليس لأنى إنسان ولكن لأنها هي الإنسانة، وصفتها بصدق وأمانة وتحليت بالدقة والإخلاص، ربما لأنني أعشق الجمال وأقدره، لاسيما عندما يكون مريضًا وضعيفًا، أو لأنها علمتني معاني كثيرة أسماها: كيف

يكون الإيمان، هذا الإيمان الذي فقده وافتقده كثير من الكبار، هذا الإيمان الذي غاب في نفوس الكثيرين، وغابت معه ضمائرهم، هذا الإيمان الذي نحن في أمسِّ الحاجة إليه حتى نخرج من بؤر الفساد الغائرة في نفوسنا ومجتمعنا.

هذا الإيمان الذي يجعلنى أطرح العديد من الأسئلة، ولكنني أعود فلا أجد لها جوابًا أو شفاء...

سيدي القارئ.. هل للكبار في هذا الوطن قلوب مثل قلوبنا، تنبض وتشعر، تفرح وتحزن، تشكو وتتألم؟

هل لهؤلاء الكبار عقول تعي ما تفعل، تعقل مضمون ومفهوم وحجم المسؤولية الراكدة على أعناقهم؟

هل هؤلاء الناس يتذكرون ولو للحظات قليلة معدودة- يومًا آتيًا تشخص فيه القلوب والأبصار؟

هل هؤلاء اللامعون مثقفون وقرأوا - ولو سطرًا واحدًا- عن عمر بن الخطاب عندما تولى خلافة أمة كاملة ترامت أطرافها شرقًا وغربًا "والله لو عثرت بعير بالشام لسئلت عنها يا عمر "؟

هل لهؤلاء أفق واسع من الخيال ليبيتوا في خيالهم يومًا واحدًا على الرصيف، أو ليقضوا نصف يوم في طابور البحث عن الحياة، أو ليرموا بأنفسهم في زحام الأتوبيسات والمترو والميكروباصات؟

هل لهؤلاء الناس في قلوبهم مثقال حبة من إحساس أو ضمير تجعلهم يقدرون عظمة مسؤوليتهم أمام الله، وأمام الناس، وأمام الوطن؟

هل تخيلوا النار وهل خافوا منها؟ هل آمنوا بالجنة وهل عملوا لها؟

هل، هل، هل،.... هلهلات كثيرة، وأعود وتعود دون أن أجد لها بيانًا أو جوابًا، ويبقى الوضع على ما هو عليه إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولا..

علي الجهيني

(١)
حي الفسطاط – مصر القديمة

سيارة جيب ضخمة يحجب زجاجها عن الناظرين معرفة ما بداخلها، فقد اكتسى بالسواد، تمامًا مثل لونها.

وأمام العقار رقم ١٨ بشارع الشهداء بحي الفسطاط كان مقرها، ولارتفاعها عن الأرض هبط منها أربعة من الكائنات الحية تراهم بشرًا، وأجسادهم تقول إنهم أربعة من الأفيال تربت ونشأت في غابات استوائية في إفريقيا الوسطى.

بدل سوداء، ونظارات أشد سوادًا أخفت تقريبا أنصاف وجوههم، اتجهوا ناحية حارس العقار وسأله أشرسهم:

فين شقة الأستاذ حازم .. ؟

فأجابه الحارس متهتها في غير تركيز: في الدور الثامن فصعدوا...

العاشرة صباحا في شقة حازم الديب رقم ١٥، شقة صغيرة بالطابق الثامن بعقار متواضع بحي الفسطاط، ميعاد ذهابه إلى العمل في جريدته الجديدة، ودَّع زوجته نورا وابنه أحمد الذي أنجبه منذ شهرين، قبلة لزوجته وقبلة لابنه وإن طالت قبلة زوجته قليلا.

اعتادت نورا أن تنظر إليه من شرفة مسكنهم الصغير، وأعتاد حازم أن يقابل ذلك بلفتة لأعلى تكسوها الابتسامة، ثم يستمر في سيره باحثًا عند نهاية الشارع الذي يقيم فيه عن سيارة تقله إلى جاردن سيتي بوسط البلد.

وقبل انتهائه من عبور الشارع الذي يقطن به، التصقت قدماه بالأرض وارتعد جسده كله عندما سمع هناك دويَّ انفجار مريبًا هز الشارع بأكمله.

راح ينظر للوراء وهو لا يستطيع الحركة من عظيم خوفه وارتجافه، فتراءى له هذا الانفجار وهذه النيران تنشب في العقار الذي يقطن فيه.

حدَّق أكثر في هذا الدخان فكان مصدره من الطابق الثامن الذي به شقته، انطلق كريح عاصفة لا يعلم أحد من أين أتت، وهو

يردد ويقول: نورا، أحمد، صوت مسموع رغم تداخله مع أصوات كثيرة تراوحت بين بكاء ونجدة، وفي أقل من دقيقة كان أمام منزله، كاد أن يصيبه الدخان بالاختناق، بدأ يطرق الباب بشدة حتى الكسر؛ نورا تفتح الباب حاضنة وليدها وهي مرعوبة، كاد أن يُغشَى عليها، حضن كامل لجسدها مضمونه حضن للأرواح، حضن تزاحمت فيه المشاعر بين عشق وغرام، دفء ووجدان واكتمال، ولحظة من مرار لخصت لكل منهما قيمة ومعنى الاحتواء.

علا صوته مرددًا: الحمد لله، الحمد لله، أخبرته نورا بأن هذا الانفجار في الشقة رقم ١٤ المجاورة لهم، وهي شقة الأستاذ حازم فهيم، وفي أقل من عشر دقائق – وعلى غير عادتهم– كان رجال الإطفاء والشرطة والإسعاف أمام العقار.

اقتحم رجال الإطفاء والشرطة الشقة التي وقع بها الانفجار، فلم يجدوا لها معالم إلا جثة هناك قد تفحمت تم ربطها بسلاسل من حديد على أحد المقاعد في حجرة داخلية، وهي جثة صاحب الشقة حازم فهيم، لم تكن زوجته ولا أبناؤه معه، ربما هم في زيارة في مكان ما، تم رفع البصمات ووضعت حراسة مشددة عليها، ولأن الجار وحارس

العقار هما أول من يتم استجوابهما في مثل هذه المواقف والظروف، فقد أمر الضابط بمصاحبة حازم الديب وحارس العقار لهم في سيارة الشرطة، ربما يكونون قد رأوا شخصًا ما تسلل إلى داخل العقار، وأمام قسم شرطة مصر القديمة توقفت سيارات الشرطة وكانت قوة كبيرة، وفي حجرة بالطابق الثاني بدأت الاستجوابات ومرحلة جمع الحقائق والبيانات.

كان حارس العقار هو أول من سأله الضابط باعتباره رجل الأمن الموكل إليه حراسة هذا المكان، كان كالأراجوز مهلهلًا في شكله وملابسه، مرتعدًا أمام الضابط، ولكنه تمالك نفسه قليلًا و أخبر الضابط بما حدث معه صباح هذا اليوم المشؤوم حيث توقفت سيارة ضخمة أمام العقار ونزل منها أربعة أشخاص سألوه عن الأستاذ حازم فأخبرهم بأنه في الطابق الثامن، واستطرد قائلا بأنه من خوفه منهم لم يسألهم هل هو الأستاذ حازم الديب، أم حازم فهيم.

هنا قاطع حازم الديب كلام الحارس قائلا للضابط:

- حازم: أنا المقصود يا حضرة الظابط مش حازم فهيم، أنا المقصود

- الضابط: إنت المقصود، يعنى إيه يا أستاذ حازم؟

- حازم: أيوه أنا المقصود يا فندم، اللي قتل حازم فهيم هو شاكر الأناضولي سكرتير والي الحقاني.

- الضابط: أقعد يا أستاذ حازم، مين شاكر الأناضولي؟ وإيه علاقة والي الحقاني بالموضوع؟ اقعد واتكلم.

- حازم: الموضوع كبير يا فندم وشرحه يطول.

- الضابط: وأنا هنا عشان أسمعك يا أستاذ حازم، وعشان نعرف مين المجرم، احكي يا أستاذ وقول كل حاجة، التفاصيل مهمة جدًّا، ممكن توصلنا للحقيقة بسرعة.

- حازم: أولًا قبل ماحكي يا حضرة الظابط، الخطأ حصل لأنه أنا مش كاتب يافطة باسمي على باب الشقة، والأستاذ حازم فهيم له يافطة بس قديمة شوية مش واضح منها غير كلمة حازم تقريبًا.

كان حازم الديب متوترًا وحزينًا في الوقت ذاته على مقتل جاره الأستاذ حازم فهيم، كان رجلًا بسيطًا يعمل مدرسًا، ويحيا حياة هادئة، ماذا جنى في حياته حتى يموت هكذا في أمر لا ناقة له فيه ولا جمل؟!!

- الضابط: أستاذ حازم ممكن تهدى وكمل كلامك أنا معاك.

- حازم: من ٦ شهور بالظبط اتصل بيا صاحبي منصور العباسي، وقال لي: عايزك في موضوع مهم، تعالى بكرة البيت أنا في انتظارك...

(٢)
ميدان التحرير – القاهرة

نظر حازم إلى ساعته، الواحدة تمامًا من ظهر هذا اليوم، يوم عصيب، مطلعه وبداياته تعلن عن أنه يوم غير عادي في حياة البشر.

يوم شتوي قارص، ضبابه أزرق، تكاد زرقته تنقلب إلى سواد، السماء غير راضية عما هو قادم، عما سوف يحدث بعد قليل، السماء لا تريد أن تمطر، فالأمطار دائما رمز للخير، وما هو قادم ليس بخير.

هنا وبالتحديد في مكان تتجمع به سيارات الأجرة لنقل الركاب من مكان لآخر، المكان مزدحم، إنه من أشهر ميادين القاهرة أطلقت عليه الدولة "موقف عبد المنعم رياض"، إذا أردت أن تذهب إلى أي مكان فعليك أن ترتاد سيارة من هناك.

واليوم حازم ذاهب إلى صديق له بالهرم، هم على موعد، وأخذ يسأل حتى دله رجل يناديه الناس كحروت مسؤول عن حارة سيارات الهرم، هو بمثابة المرشد والمنظم والمصلح على طريقة شيخ البلد، لديه

السلطة والقدرة على فض أي مشاجرة تنشب بين سائق وآخر إذا حاول أحدهم أن يسطو على حق الآخر، أو أن يأخذ دوره في نقل الأشقياء؛ هذا ما تأكد منه عندما حدثت مشاجرة بالفعل بين سائق السيارة التي صعد إليها وبين سائق آخر، استقر بعدها الأمر بعد تدخل كحروت على أن السيارة التي هو بها ليس من حقها الآن أن تسير، بل هناك سيارة أخرى.

ترك حازم وشخص آخر هذه السيارة ليأخذا السيارة المجاورة، ليس غريبًا هذا التعدي، فالحياة كلها تعديات والكل يسطو على غيره، هذا البلد أرض خصبة ومرتع لضياع الحقوق.

جلسا ينتظرا حتى يكتمل العدد ١٤ راكبًا، وأخذ الناس الذين لا يتوقفون عن الحركة بحثًا عن الحياة يأتون من كل مكان، عدد الركاب الآن ١٣، رقم النحس كما يطلق عليه الجميع، أين الرابع عشر؟ تأخر، تأخر كثيرًا، ثلاثة عشر- شخصًا تجمعوا في أقل من دقيقتين، وتوقفوا عند رقم النحس ربما هو إشارة أخرى لهذا اليوم.

مطلعه وبداياته، السماء المظلمة، الرقم ١٣، وجوه الناس وعلامات الشجن كلها تعبر عن هذا اليوم.

أخيرًا اكتمل العدد بقدوم هذه الفتاه، ومن الواضح أنهم ثلاثة عشر- رجلا وفتاة واحدة يبدو على وجهها الإجهاد رغم ابتساماتها الكاذبة، في داخل كل منهم الكثير لكنها ربما كانت تحب التفاؤل ولو كان من قبيل الوهم.

كلهم شباب إلا هذا الرجل ذا الشعر الأبيض الذي يجلس في المقعد التالي للسائق مباشرة، ومن وقت لآخر يلتفت إلى الخلف، ينظر هنا وهناك، تشعر بأنه يتحدث مع نفسه، أو أنه يستنكر وجوده في سيارة كلها أطفال من وجهة نظره، أو أنه لايزال يعاني مراهقةً متأخرةً للغاية فيلتفت للفتاة من آن لآخر، ربما كان يريد الجلوس بجوارها أو أنه لا أحد يعرفه، لا يعرفون ما بداخله، ربما كان يبحث عن شعر أبيض مثله لكنه لم يجد، فاستبدل ذلك كله بالجدل والمشاكسات الساخنة مع السائق التي كادت تصل إلى حد الشجار، فهو من هواة الاستماع إلى المذياع أثناء انتقاله من مكان إلى آخر، ولما طلب ذلك من السائق اعتذر لوجود عطل به، فما كان منه إلا أن يقابل ذلك بالسخرية والاستهزاء.

الواحدة وعشرون دقيقة، الكل يعاني هذا الانتظار، ربما حازم هو الوحيد الذي يستطيع أن يقضي- على هذا الملل، ربما هو فقط من

يستطيع أن يجرد نفسه من هذا الواقع المرير، في حقيبته أوراقه وقلمه، هم أصدقاؤه على طول الطريق وفي أي مكان.

لكن عما يكتب، هل هناك أقوى مما هم فيه الآن كي يتحدث عنه ..؟! ربما لا، فما كان منه إلا أن رمى بأذنيه – التي تعاني منذ فترة اضطرابًا شديدًا – هنا وهناك وأخذ يسمع ويكتب، كل منهم لديه داخله، وكل منهم لديه عمقه.

الأشقياء في انتظار تحرك السيارة ولكن يبدو أن هناك ازدحامًا شديدًا، الطرق بأكملها متوقفة، أخذ الركاب يتكهنون: هناك من يقول إنها حادثة، وآخر يعترض بأنها خيبة المرور وسوء الإدارة، وآخر ينفي هذا وذاك ويقول: «البلد خلاص اتملت ناس وعربيات».

لحظة صمت زاد طولها، وتوقف تام للشارع بأكمله بل لكل شوارع الميدان.

أخذ حازم يرمي ببصره إلى هناك، إلى نهاية شارع كورنيش النيل المقابل لموقف عبد المنعم رياض، وبعد طول نظر رأى هناك أبنية بشرية ترتدي بِدلًا سوداء متراصة في خط مستقيم لا يمكن أن ترى فيه اعوجاجًا.

لاحظ سائق السيارة ما لاحظه حازم أيضا فإذا به ينفخ ويضرب كفًّا بكف ويقول بصوت عالٍ: يادي اليوم لاسود، إحنا مش ماشيين النهارده.

كل الركاب بصوت واحد: خير يا أسطى، فجاءت إجابته بغيظ وحرقه: هو الخير ييجي منين، مئات من جنود الأمن المركزي والعسكر هنا وهناك، أكثر في عددهم من الناس والسيارات.

إنها إشارة جديدة تؤكد لهم أن هذا اليوم هو يوم غير عادي في حياة هذه الكائنات الحية.

مرور أي مسؤول من الطابور الأول في قلب العاصمة مرتبط دائما باللون الأسود لدى هؤلاء البشر، هذا الموكب الغفير يعني تجاهلًا تامًّا لهؤلاء الناس، يعني تعطلًا كاملًا لجميع مصالحهم.

السيارة التي هم بها وتحمل رقم ١٣١٨٧ أجرة جيزة وغيرها مئات بل آلاف السيارات الأخرى المعطلة.

ملل وانتظار وغيظ وسخط مما يحدث، هم أقرب إلى كونهم يعيشون في عاصمة الظلام أو مدينة تشبه إلى حد كبير مدينة كوك تاون البريطانية، مدينة الفحم في القرن التاسع عشر، مدينة لا يغيب عن

سمائها السواد الذي أنتجته مصانع الفحم، فجمع أصحابها المال وأصيب عاملوها بالمرض والوهن، بدأ الكل ينفس عما بداخله حتى لا ينفجر، بدأ الكل يسمع للآخر، كيف يرى هذا المشهد الأليم وماذا سوف يحدث لو لم يصل في ميعاده.

الرجل ذو الشعر الأبيض من الواضح أنه اعتاد هذا، ويرى ما يحدث أنه شيء عادي: هو إيه الجديد يعني .

هذا السواد الذي اتشحت به عيناه، هذه الانكسارات التي تملأ خديه تلخيص كامل لهموم تجمعت بداخله يومًا بعد يوم، هو ذاهب لزوجته الأولى، اليوم سوف يتقدم عريس لخطبة ابنته إيمان، وهو لا يريد أن يتخلف عن هذا الميعاد، يحاول جاهدًا في حياته أن يقف بجوار أبنائه من زوجته الأولى التي حاولت دائما أن تشوه صورته أمام أبنائه بعد زواجه الثاني الذي جاء به متأخرا.

هو يريد أن يثبت لأولاده أنه لم ولن يتخلى عنهم بل رسالته مستمرة، كل تفكيره ولعنه وسخطه يتخلله تلفظه الدائم باسم ابنته إيمان، هو يحبها واليوم فرصة لإثبات هذا الحب، محاولة لرسم الصورة من جديد، محاولة لإعادة البناء.

عرفوا ذلك من خلال حديثه مع نفسه بصوت يكاد يسمعه من بخارج السيارة، ومن آن لآخر يلعن ويسب السائق " فيه عربيه من غير كاسيت يا بقر".

خلفه مباشرة هذه الفتاة التي تحمل عيناها الكثير رغم ادعائها الأمل، ادعاءً باطلًا دون قصد، هي ترفض تعاطف الآخرين، ترفض تعاطف أي إنسان مهما بلغت قسوة الحياة عليها، هي من هذا النوع الذي لا يملك إلا كبرياءه وكرامته، نوع من النساء يفتخر أي رجل بأن يكون على معرفة به، ما أكثر التافهات في هذا الزمان، فتاة تعيدنا لمجد المرأة، تعيدنا للمفقود في أجمل كائن في الوجود.

كان يتمنى حازم في هذه اللحظة لو كان جالسًا بجوارها، ربما سوف تأتي كلماته بشكل آخر وبأسلوب جديد، هو يريد أن يتطرق إلى داخلها، إلى معرفة سبب هذا الشجن الذي يقابله أمل مزيف.

منح القدر هذا الحظ لشاب آخر لا تحمل ملامحه إلا كل علامات السكر والرغبة في التحرش بها، فهو يحاول من وقت لآخر أن يقترب بجسده منها، وهي تبعد نفسها عنه قدر الإمكان، لكن إلى أين تذهب ..؟! هى بجوار نافذة السيارة، التصقت بزجاجها، أين تذهب

وماذا تفعل مع هذا السفيه الذي تفصله نزواته عن واقعه بل عن كل حياته ..؟

بدأ الجميع يلاحظون ذلك خاصة أولئك الذين يجلسون خلفهم مباشرة، فإذا بأحدهم يصفعه بيده على مؤخرة رأسه مصاحبًا ذلك بصوت عالٍ "سكران بالنهار، فوق يا حيوان"، وآخر يعقب بقوله "احترم نفسك، ترضى حد يضايق أختك".

الرجل ذو الشعر الأبيض لم يعلق ولو بكلمة واحدة، واكتفى بنظرة لا يعرف مضمونها ومعناها إلا شخص عميق، نظرة تجمع بين احتقاره – بل قمة احتقاره لهذا الشاب– وبين حزن وربما حنين لهذه الفتاه التي تحمل عيناها الكثير، هي تذكره، نعم تذكره بابنته إيمان، ربما هذا ما كان يدفعه للنظر للخلف من آن لآخر.

النظرة نفسها تكررت أكثر من ثلاث مرات في أقل من خمس دقائق ينظر للخلف ثم يعود للأمام، وعلى حين غفلة فاجأ الجميع بصفعة قوية على وجه هذا الشاب، وطلب منه النزول من السيارة، لكن إلى أين يذهب ..؟! الطريق بل كل الطرق مغلقة، وممنوع مرور ليس فقط السيارات بل أيضا البشر.

عليهم أن يعتبروا أنفسهم مثل هذه السيارات جمادًا لا قيمة لهم ولا معنى، عليهم أن ينتظروا كما لو كانوا قطعًا من الفلين لا مضمون لها ولا وزن؛ إن ما يحدث ليس حماية لمسؤول يمر أو تأمينًا لموكب، إن ما يحدث ليس بقوة أو عظمة أو فخر، إن ما يحدث هو الخوف ذاته، نعم إنه الخوف وأي خوف، خوف من نوع لا يعرفه البسطاء، خوف من نوع لا يجيده الغلابة، خوف يخفي وراءه أعلى درجات الجبن.

إلى أين يذهب هذا السكير وفي مثل هذا اليوم ..؟! هو لا يعلم أين وجهته وفي أى يوم يكون، بدأ يدعي الألم، ألم الداخل ألم المضمون، بدأ يشكو الحياة ولا يبغي فيها إلا النسيان، هو شاب ضائع كآلاف بل ملايين الشباب، لا عمل له ولا هدف في وطن لم يمنحه الحلم بما يريد.

ادعاؤه هذا ربما يكون من قبيل رغبته في استحواذه على عطف الآخرين حتى يخرج من هذا المأزق الذي وضع نفسه فيه.

لا يزال حازم تراوده نفسه عن هواها، ولا تزال رغبته قوية، يريد الجلوس بجوارها، لا يزال البعض غضبان من هذا السفيه، حاول جاهدا أن يجمع شتات جرأته في بلد لم يلقنه إلا الجبن والخوف

والكبت، حاول أن يكون جريئًا، ونطق بأربع كلمات وجهها لهذا السفيه: بعد إذنك تعالى مكاني .

يريد حازم أن ينهي هذا الموقف، ومن الواضح أن ملامحه الطيبة كانت جسرًا يعبر عليه إلى قلوب الناس هنا في هذه السيارة قبل وصوله إلى هذا المقعد بجوار هذه الفاتنة.

جلس يتحسس داخله، يشعر باختلاف، يريد أوراقًا أكثر، أقلامًا، يريد أكثر من مسؤول يمر هذا اليوم حتى يجلس هكذا حتى الصباح، الناس جميعًا كرهوا لحظة ولادتهم في هذا اليوم وهو الوحيد الذي أحب هذا اليوم ليس لسبب إلا أنه جالس بجوارها.

لكن عليه أن يكون جريئًا أكثر، أن يواصل شجاعته، أن يخترق

- اسمك ايه؟

- نظراتها سبقت صوتها ثم ردت: سلمى، صوت لم يسمعه من قبل، صوت كسته الرقة والحنان وإن أخفى بين كلماته هناك قدرًا محسوسًا من الشجن.

لا يريد حازم أن يتحدث فقط، يريد أن يسمع، أن يستمتع، أي سيمفونية هذه، أي جمال ينظر إليه؟ وأي خجل وحياء يراهما أمامه؟

- حازم: إنت رايحه الشغل؟

- سلمى: لأ "جاء ردها سريعًا"

- حازم: أنا آسف لفضولي أو ممكن تقولي تطفلي

- سلمى: لا مفيش حاجة، بس أنا رايحه مكان بكرهه موت

- حازم: ياه.. ده إيه المكان ده؟

- سلمى: المستشفى

المستشفى، هنا استوقفه داخله، المستشفى دائمًا مرتبط بالمرض، بالألم، بالمتاعب، لكن هذا الفضول، ماذا يفعل تجاهه؟

- حازم: حد قريبك تعبان؟

- سلمى: لأ

- حازم: طب رايحه ليه، وليه بتكرهيها كده؟

- سلمى: لأنه أنا العيانة..

وقفة ثانية في هذا الداخل، هذا الوجدان الذي زاد تعاطفه وفضوله، أهي المريضة؟ أهذا الجمال؟ أهذه الرقة وهذا الحياء؟ أفي هذه السن؟ ولهذا الجسد؟

اللهم لا اعتراض، لكنها العاطفة أو ربما التعاطف، نحن بشر- لو تخلينا عن مشاعرنا لأصبحنا شياطين.

- حازم: أنا آسف يا سلمى، بس انت بتشكي من إيه، ما أنت زى القمر؟

بدأت إجابتها بنظرة تحمل كل معاني الضعف والانهيار، دموع هناك في العمق تأبى أن تسقط، أي عزة نفس يراها وأي شجن وحزن يملأان عينيها، لكنها بدأت تضعف، ربما لأنها أنثى، أو ربما لأنها شعرت ببعض الراحة له فأرادت أن تحكي، عيناها تريد الكلام، لكن تأبى شفتاها النطق، شفتان ما أروع تكوينهما، شفتان مكتظتان بلحم وردي أصابه الخجل الدائم .

لايزال حازم في انتظار إجابتها، يخشى من طرح سؤاله مرة أخرى، لكنه لن يتركها، لن يترك هذا الجمال حبيس حزنه، هو ممن يعشقونه، لن يتركها بين جدران الداخل تبكي نفسها.

برهة من وقت لازمه الصمت، حاولت خلالها أن تستعيد قوتها لكنها لم تستطع فاستسلمت وقالت بصوت يكاد يكون مخنوقًا..

- سلمى: كان فيه ورم في رحمي وتم استئصاله ولازم أعمل التحاليل بشكل مستمر لحسن يرجع تاني في حته تانية من جسمي.

عجز حازم عن النطق، توقف اللسان تمامًا عن الحركة، رعشة أصابت كل جسده وصمت تام في عينيه.

ماذا يقول وفيمَ يواسيها؟ هي لم يمت لها أب، أو أم، أو أخ، أو أي قريب، هي لم يمت لها إنسان، بل مات لديها أغلى وأسمى أماني وأحلام المرأة.

- حازم: بتقولي إيه يا سلمى؟ استئصال رحم مكنش فيه حل تاني؟ كان لازم جراحة؟

ومين عمل العملية؟ بني آدم له قلب زي الناس! مكنش قدامه حل تاني.

ياه يا سلمى، الجمال ده اتحرم من الأمومة؟ و ال..... مش عارف أقولك إيه يا سلمى، مش عارف، ياريتني ماسألتك ولا شفتك، ربنا يعينك.

- سلمى: هون عليك، ده قدري وإيماني بربنا دايما سندي، أنا بس بسأله الستر والعافية في الفترة اللي جايه، وميرجعش تاني؛

حقا يا لهذه الروعة، حتى في حزنها رائعة، وفي إيمانها بالله رائعة، هو لم يخطئ في رغبته في الجلوس بجوارها، شيء ما هناك في داخله يقول إن هذه الفتاة لديها الكثير، هذا الشجن وهذا الحزن ليس متعلقًا إذن بظروف هذا اليوم العصيب.

هذا الشجن لا يعود مطلقًا لتجمدهم في الشارع بالساعات من أجل سلامة مرور الكبير، ربما هي لم تشعر بما يشعرون هم به من سخط ورفض لهذا الواقع.

هي لا تشعر إلا بداخلها، تحيا أطلال المضمون، معاناتها فوق أي معاناة أخرى، هي لا تشعر بملل وانتظار ولمَ لا تنتظر؟ علامَ العجلة والسرعة؟ هي ذاهبة إلى أسوأ مكان في حياتها، مكان تكرهه.

فليمر المسؤول، وليمر الكبير، بل فليمر ألف كبير، لتتعطل السيارات ولتغلق كل الشوارع، الحياة كلها أصبحت متوقفة في عينيها.

كان عليه أن يصمت، لا يجب أن يتحدث فلن تستطيع كلماته وأوراقه أن تخفف عنها شيئا، ولكن بقي هناك شيء من فضوله.

- حازم: سلمى أنا آسف بس مش عارف يعني.. مش مش فاهم هو الورم ظهر فجأة كده ولا كان فيه سبب، هما الدكاتره قالوا إيه بالظبط.

- سلمى: السرطان مالوش أعراض تكشفه بس كان فيه سبب للورم.

- حازم: كان فيه سبب؟

- سلمى: سمعت عن المبيدات المسرطنة.

- حازم: أيوه طبعًا.

- سلمى: أنا أكلت فاكهه كانت مرشوشة بالمبيدات دي.

لم يكن يتوقع حازم أن الرجل ذا الشعر الأبيض قد رمى بأذنيه ليستمع إلى حوارهما بالكامل، هذا ما تأكد منه عندما أدار رأسه للخلف بعيون قد تغرغرت واضعا يده على كتف الفتاة، منعه جدار المقعد من حضنها، شعور أب تجاه ابنته.

طلب هذا الرجل من حازم بكل أدب واحترام أن يتبادلا المقاعد فاستجاب حازم على الفور، لكنهم لم يسلموا من تعليقات هذا الشاب الذي لا يستطيع أحد أن ينكر خفة ظله ومداخلاته مع كل من بالسيارة، تشعر بأنه يريد أن يضحك الجميع حتى ينسيهم وينسي نفسه مرارة وقسوة هذا اليوم.

فليكونوا أسرة واحدة لوقت ما في سيارة أجرة حتى يمر هذا اليوم العصيب، فليكونوا أسرة واحدة في وطن لم يمنحهم إلا الفرقة والمعاناة.

وبمجرد أن تبادلا المقاعد إذا بهذا الشاب يعلق ويقول:

- خفيف الظل: هو فيه إيه يا أخوانا، أيه حكاية الكرسي ده، ما تيجي يا عم السواق تقعد شوية جنبها.

- السائق: لم يرد

- الرجل ذو الشعر الأبيض: يرد بغضب احترم نفسك يا.....

- خفيف الظل: خلاص يا حاج، بلاش غلط أنا بضحك، أقعد براحتك كلنا قاعدين للصبح، وعلى فكرة أن اسمي البنط .

جاء مقعد حازم بجوار شاب تبدو عليه كل علامات الأدب والاحترام والخجل، ولكن ما أجمل خجل الرجال إذا كان، عجبًا لهذه السيارة التي تجمع بين السكر والاحترام في مكان واحد، ما هي إلا نموذج مصغر لمجتمع كبير مليء بالتناقضات.

ترك حازم مكانه بجوار هذه الفاتنه، ولكنها ملكت عليه كل فكره ووجدانه ويحاول من آن لآخر أن يرمي بأذنيه إلى حوار الرجل

ذي الشعر الأبيض معها، وفي الوقت نفسه تجتهد غريزته وفضوله في معرفة سبب قلق وتوتر هذا الشاب الذي يجلس بجواره، تعرف إليه، اسمه أحمد ويدرس بالسنة النهائية بكلية الطب، واليوم هو آخر أيام امتحاناته في آخر عام دراسي له.

- حازم: أحمد، انت ليه متوتر؟

- أحمد: مش باقي غير ٤٥ دقيقة بس على اللجنة، وأي تأخير معناه حرماني من دخول الامتحان، يعني أسقط السنة وهي آخر سنة ليا، وأمي شربت المر في تعليمي، أنا عايز أنجح وأخلص.

- حازم: ربنا يسترها يا أحمد، بس الطريق واقف خالص.

- أحمد: ربنا يسترها، دي آخر سنة.

- خفيف الظل: مين قالك إنها آخر سنة يا دكتور، عشان البيه المسؤول فيه سنة تانية....

- أحمد: فال الله ولا فالك يا خفيف، لكن قد يكون خفيف الظل صادقًا في كلماته، ربما لن تكون هذه السنة هي الأخيرة لهذا الشاب.

- حازم: على العموم ربنا يسترها ويبعت الفرج من عنده.

هـذا الشـاب لا تعنيـه نفسـه في المقـام الأول، كـل تفكـيره في هـذه الأسرة التـي تشـبه في معاناتهـا ملايـين الأسر الأخـرى مـن أجـل بنـاء أحلامهـم البسـيطة فـوق أرض صـماء قلَّـما سـمحت باختراقهـا، هـو لا يفكر في طموحـه و ذاتـه بقـدر مـا يفكـر في هـذه الأم التـي ودعتـه هـذا الصباح بدعواتها العذبة "روح يا بني، ربنا يفتح عليك ويسـهلهالك"، هو كل شيء بالنسبة إليها، توفي والده عندما كان في الثامنة مـن عمـره، ومعـاش الأب لم يعـد كافيًـا للإنفـاق عـلى الأسرة، هـو في حاجـة إلى التخرج بسرعة، في حاجـة إلى العمـل، كفـى الأم معانـاة وكفاهـا تعبًـا؛ دقائق صامتة وهدوء نسبي قطعته هذه السيمفونية الرائعـة، إنـه صـوتها صوت سلمى يعود من جديد طارحة سؤالا على السائق.

- سلمى: هو إحنا وصلنا فين يا أسطى دلوقتي؟

سمع الجميع هذا السؤال فإذا بالكل يضحك بشكل مبالغ فيـه بما فيهم السائق نفسه إلا حازم والرجل ذا الشعر الأبيض.

- السائق: هو إحنا اتحركنا أصلا يا آنسة.

- السكران: بلاش الصنف المضروب ده.

- الرجل ذو الشعر الأبيض: إيه يا كلاب، فيه إيه، ارحموها بقا.

سلمى لم تخطئ، لم ترتكب جرمًا كي يتناولها الجميع بهذه السخرية، ويضعوها هكذا بين فكي الكسوف والخجل، لكن ربما يكون لديهم العذر لذلك؛ فهم لا يعلمون عنها شيئًا، لا يعلمون ما علم به حازم والرجل المسن، هم لا يعلمون أنها معهم فقط بجسدها المريض في هذه السيارة، لكنها ليست هنا، ليست هنا مطلقًا، هي هناك تفكر وتدعو الله، تفكر في أسوأ مكان في حياتها، مكان تكرهه ولكنها ذاهبة إليه، فهي لا تعلم إذا ما كانت السيارة متوقفة أم تسير.

هي لا تعلم شيئًا عن هذا الواقع المرير لأن ما بها أشد مرارة وقسوة، فكان لا بد وأن ينسيها كل من حولها.

فتاة منحها الله أروع صور الجمال، لكنها حرمت من أحلى أحلام المرأة، وهي في هذه السن، ليُعِنْها الله على ما هي فيه.

عادت سلمى إلى سكونها من جديد بعد أن اعتذر لها الرجل ذو الشعر الأبيض عما حدث من هؤلاء السفهاء، حياة افتقدت لكثير من جوانب الأخلاق والمثل، أدار حازم نفسه قليلًا حتى يكون معهم، وطلب منها ألا تغضب فهم لا يقصدون شيئًا، وأراد الرجل المسن أن

يخرجها من هذا الخجل الذي حاطها منذ قليل، أو ربما أراد أن يخرج بها منها، من نفسها والتفكير في هذا المصير الذي صارت إليه.

- الرجل ذو الشعر الأبيض: على فكرة يا... هو أنت اسمك إيه؟ يوجه السؤال لحازم، فأجابه: حازم

- الرجل: وأنا الحاج حسن، على فكرة يا حازم أنا متجوز مرتين، بس الجوازة التانية يا سلمى جات متأخرة شوية.

- سلمى: ليه يا عم حسن؟

- حسن: أيوه كده اتكلمي، المفروض يا بنتي كنت اتجوزت الجوازة التانية دي من زمان بس عشان ولادي أخرتها كتير

من الواضح أن هذا الرجل يؤكد حقيقة أن الأطفال وراء استمرار الحياة بين زوجين تعيسين.

وأخذ يحكي ويستطرد في حديثه كثيرًا، وما أراد الحديث إلا ليخرج سلمى من دائرة الذات، أن تنسى نفسها ولو لدقائق معدودة، هي حتمًا سوف تعود إليها بعد قليل.

تحدث الحاج حسن كثيرًا عن مشكلاته مع زوجته الأولى، وتحدث كثيرًا عن حسنات زوجته الثانية، واجتهد حازم وسلمى في

الاستماع والتركيز قدر الإمكان، لكنهما لن يستطيعا المواصلة أكثر من ذلك، فقد زاد الملل، وطال الانتظار، والسيارة تتحرك ببطء شديد، وبدأ هذا الرجل المسن يكرر من وقت لآخر أشياء قد تحدث عنها منذ قليل، من الواضح إصابته بالزهايمر، هذا المرض الذي يعود أساسًا إلى تفاقم الهموم يومًا بعد يوم، لكن حدث ما قاطع حسن واستوقفه وأيضًا شتت تركيز حازم وسلمى.

ثلاثة من الشباب يحتلون المقعد الأخير من السيارة وبحوزتهم رق، وطبلة، ومزمار، وبدأوا بالغناء.

الابتسامة الأولى على وجه الحاج حسن الذي نظر إليهم وعليه كل علامات الرضا ثم علق بقوله:

- فينكو من زمان، لسه فاكرين.

- السائق: ابسط يا عم، فرقة وفي العربية.

- السكران: هي الرقاصة جات معاهم ولا لسه.

أحد الركاب يصفعه بيده صفعة قوية من الخلف على مؤخرة رأسه ويقول له بصوت عالٍ فُوق يا حيوان؛ شلة شباب من الواضح أنهم يمتهنون هذه المهنة، الطبل والزمر، باعتبارها النهاية الطبيعية لكثير

من الشباب أمثالهم في وقت لم يعد يكفل المجتمع حق النجاح بسهولة لأي شاب في مثل أعمارهم، إنها معاناة أخرى.

بدأ الحاج حسن يتبادل معهم الحديث أثناء الغناء، هم في طريقهم لإحياء ليلة حنة في حي العمرانية بالجيزة.

شلة شباب جاءت في وقتها –وإن كان قد تأخر كثيرًا– حتى تكسر من حدة هذا اليوم العصيب، حتى تخرج سلمى من وطأة ما هي فيه.

يحاول الحاج حسن من وقت لآخر أن يتمايل، أن يتراقص ناظرًا لسلمى، يجتهد كثيرًا في إضحاكها، في رسم ابتسامة على وجهها وإن كانت كاذبة.

اندمجت سلمى واندمجوا جميعًا خاصة عندما جاءت أغنية العنب العنب، تشعر حينها بأن جميع من بالسيارة قد تحولوا إلى فكهانية.

بدأ هؤلاء الشباب "شباب النجدة" ينتقلون من لحن لآخر ومن أغنية لأخرى، حتى جاءت هذه الأغنية وليتها لم تأتِ، ليتهم أنهوا غناءهم، ليتهم.. إنها "دقوا المزاهر" التي أطفأت الابتسامة في وجه

سلمى، ابتسامة لم تَدُمْ طويلًا، اختفت مثل قمر جميل في أسطع لياليه، اختفى فجأة بين سحب سوداء حالت بينه وبين الناظرين.

لماذا يا شباب؟ لماذا هذه الأغنية بالذات؟ هي تذكرها بليلة تعد أحلى ليالي العمر، هي تذكرها بليلة لم ولن تأتي بعد، ليلة حرمت من مجرد التفكير فيها، وكيف تفكر فيها وقد تبعثرت كل الآمال وللأبد؟! أي مزاهر سوف تدق، وكيف ولمن؟

طلب الحاج حسن منهم التوقف وشكرهم، أخيرًا لاحظ ما لاحظه حازم على وجه سلمى، أي ظروف تعيشها وتحياها هذه الفتاة في هذا اليوم العصيب؟ وماذا يفعل هذا الرجل حتى يخرج بها منها؟ ماذا يفعل؟ هي لا تكاد تنسى حتى تعود مرة أخرى إلى الدائرة نفسها التي تسكن فيها وحدها، "دقوا المزاهر"، و"ليلة الحنة"، و"دبلة الخطوبة" كلها ألحان وكلمات لطالما عشقت أي فتاة أن تستمع إليها من وقت لآخر، إنها الحياة لحظاتها الجميلة قليلة والكل يبحث عنها.

- والنبي يا أسطى أنا عايز أنزل أقرب مكان لشبرا "صوت يأتي من الخلف".

- السائق: شبرا إيه يا أستاذ، إحنا رايحين الهرم.

- خفيف الظل: الله، إيه ده سكران تاني.

- الشاب: احترم نفسك، أنا مش سكران.

- خفيف الظل: الله، يبقى أنت تايه، اسمك إيه؟

- الشاب: المنسي.

- خفيف الظل: منسي ولا ناسي.

سخرية من خفيف الظل نتجت عنها ضحكات عالية من الركاب جميعا حتى سلمى نفسها ابتسمت.

الحاج حسن يحاول أن يخفي ابتسامته التي فرضت نفسها على وجهه، ولكن تماسك قائلًا:

- عيب عليكو يا جماعة، وعيب عليك يا بنط احترم نفسك، الأستاذ راكب غلط، إيه ما فيش إنسانية.

- السكران: خد سيجارة عشان تفوقك، لم يكمل جملته حتى تلقى صفعة قوية من الشاب الذي يجلس خلفه مباشرة والذي أصبح على عاتقه من وقت لآخر أن يقوم بضرب هذا السكير حتى يخرجه من غيبوبته ولكن دون جدوى.

شكرًا لك يا منسي، إحراج لك وابتسامة لسلمى، شكرًا لك يا منسي على هذا الموقف الذي وضعت نفسك فيه دون قصد أو إرادة.

لم تكتفِ سلمى بابتسامتها فقط بل علقت بكلمات كبيرة تدل على عمق شخصيتها.

- سلمى: جات على المنسى، ما كله عايش تايه.

كان حازم بمثابة الصياد لهذه الكلمات التي نطقت بها سلمى، يريد أن يواصل حديثه معها.

- حازم: تقصدي إيه يا سلمى؟

- سلمى: يعني انت مش عارف يا حازم، كله عنده همومه ومشاكله، مش أنا ولا انت ولا عمي حسن بس، حتى السكران عنده مشاكله اللى خلته يسكر، ثم ساد بينهما الصمت.

الواحدة وأربعون دقيقة، السيارة ١٣١٨٧ أجرة جيزة تسير ببطء شديد، انتصفت تقريبًا كوبري ٦ أكتوبر، هناك شخص واحد معزول عنهم تمامًا، عزل نفسه عن السيارة التي بها، عزل نفسه عن المجتمع، يحاول أن يقضي على آلام الانتظار واضعًا سماعات كاسيت صغير في أذنيه حتى يمر هذا اليوم.

يرتدي جاكت جينز، ذا شعر منفوش وسوالف طويلة، شاب على الطريقة الأمريكية، ليس لديه وقت ليشارك الناس همومهم.

- سلمى: حازم، انت عرفت عني كتير، انت بتشتغل إيه ورايح فين؟

لم يأتِ رده سريعًا ولكنه تحدث معها، حكى كثيرًا عن نفسه وعن زملائه، هو في طريقه إليهم، سوف يلتقي بهم في منزل صديقه منصور العباسي، كلهم خريجو كلية الإعلام، ويعملون بالقطعة في أكثر من جريدة مغمورة لا لسان لها ولا هدف، واليوم يلتقون لأن هناك عرضًا رائعًا من جريدة جديدة تحت الإنشاء، ثم عاد الصمت من جديد.

وقت قليل راح فيه حازم يفكر في هذا العرض أو هذه الفرصة، أخذته الأحلام من كل ما حوله، يتخيل ويتخيل، حصل على عمل، جمع المال، كبر أبناؤه، اجتهد ونجح، وفجأة استيقظ على صوت أحد الركاب يسب ويلعن هذا اليوم وما يحدث لهم ليصطدم بالواقع، ولكنه يحاول الهروب مرة أخرى الى أحلامه، فهم لا يملكون إلا الأحلام في وطن لو استمر حاله هكذا لحاسبهم في المستقبل حتى على أحلامهم.

استيقظ حازم مرة أخرى على صوتها، صوت سلمى لكنها مفزوعة، أحد المارة خارج السيارة أفزعها ومن الواضح أنه مختل عقليًّا، يرتدي ثيابًا مهلهلة يقترب لونها كثيرًا من لون الأرض، ظهر فجأة أمام أعين سلمى، لا يفصله عنها إلا زجاج السيارة وهو يردد ويقول: عدي يا يوم، عدي يا يوم.

حتى هذا المختل يشارك الناس في همومهم، هدأت سلمى من روعها وأخبرت حازم بأنه اقتربت محطة نزولها، فطلب منها على استحياء رقم هاتفها حتى يطمئن عليها من وقت لآخر.

لم تتردد سلمى في إعطائه رقم هاتفها، دعا حازم لها بالشفاء وطلب منها ألا تفكر في شيء، وأن تستعين بالله، فهو الملاذ والملجأ دائمًا وأبدًا.

- سلمى: على جنب يا أسطى لو سمحت، مع السلامة يا حازم.

- حازم: مع السلامة يا سلمى.

راحت عيناه تتابعها حتى اختفت، عينان تدعوان لها بالسلامة لمن تبحث عن السلامة.

عـاد حـازم إلى أحلامـه مـن جديـد، أخـذه الوقـت، الثانيـة وعشرون دقيقة، ميدان الجيزة، هذا ما يراه، زحـام شـديد قـاطع تركيـزه معه اتصال تليفوني من صديقه منصور يطمئن عليه ويستنكر في الوقـت ذاته تأخيره.

اعتذر حازم له وطلب منه الانتظار حتى حضـوره وشرحـه لـه سبب هذا التأخير.

أرض الجولف – مصر الجديدة

وسط ربوع خضراء وفي حي من أرقى أحياء عاصمة الظلام، يحصل على انتباهك وينال شغفك وإعجابك هذا المبنى العملاق الضخم والذي يحمل اسم "المقر الإداري لمجموعة شركات والي"

نوع آخر من الكبار، يختلف عن أولئك الذين حاربهم عبد الناصر عقب الثورة مباشرة بالقضاء على أملاكهم من الأطيان والأراضي وتوزيعها على الغلابة والبسطاء.

نوع آخر من الكبار يختلف أيضًا عن أولئك الذين تغلق لهم الشوارع، وتجمد لهم الحياة، ويتحول البشر من أجل سلامة مرورهم إلى كلاب محنطة بالساعات في شوارع مقفرة.

ونوع آخر من الكبار، لكنه أشد شراسة وأكثر سطوة وقوة ونفوذًا.

نوع آخر من الكبار، وإقطاعي الثروة والمال الذي تكدست به بنوك أوروبا والغرب، حتى لو عاد عبد الناصر نفسه فلن يستطيع أن يقضي على سطوتهم وثرواتهم.

نوع آخر من الكبار، نجحوا في مصاهرة المال بالسلطة والسياسة في زواج غير شرعي فأنجبوا كل الفساد.

سيجار من كوبا في اليد، حراسات خاصة وكلاب من ألمانيا تشبههم، وسيارات سوداء أقل في سوادها من ليل الغلابة والبسطاء.

باشا يتعامل مع وطنه على أنه وجبة عليه أن يأخذ وينهل منها قدر ما يستطيع.

قرر والي الحقاني -وهو من أشهر رجال الأعمال ووزير سابق وعضو في البرلمان - إنشاء جريدة جديدة، ليس لحبه في الصحافة، ولا لرغبته في الشهرة والمجد، أو لإحساسه ببطالة بني وطنه، ولكن لتكن منبرًا ونافذة يُروِّج من خلالها لسمومه ويوسِّع إمبراطوريته، ينافق بها الكبار أمثاله لاسيما أصحاب السلطة والنفوذ منهم ويقدم الوجه الحسن لمشروعاته وجشعه.

شاكر الأناضولي هو سكرتيره الخاص، العقل المدبر له، والباحث دائمًا عن مقعد بين الكبار وإن كان في الخلف، في الظلام حتى لا يراه أحد.

بداية متكررة وشبيهة لمعظم هؤلاء الكبار الذين بدأوا من الخلف، في الظلام؛ هذا الظلام الذي يخفي داخله كل الطرق الملتوية وغير المشروعة، هذا الظلام الذي يكرهه الغلابة ولا يعرفه البسطاء.

- شاكر: مبروك يا باشا ترخيص الجورنال.

- والي: الله يبارك فيك.

- شاكر: عايز طبعا فريق عمل شاطر جدًّا عشان ننتشر.

- والي: طبعًا، بس المهم فريق عمل يعمل اللي أنا عايزه.

- شاكر: قصدك يكتب اللي إنت عايزه يا باشا.

- والي: بالظبط يا شاكر، عشان نستمر في البلد ودايمًا نبقى حلوين عند أي حكومة، كل حكومة تيجي نرحب بيها واللي مشيت نلعن أبوها، إحنا بنحب اللي بيعيش معانا وبس.

- شاكر: طب يا باشا نجيب مين؟

- والي: كتير في البلد بياعين كلام.

- شاكر: لا يا باشا، أنا عندي اقتراح بمليون جنيه.

- والي: قول.

- شاكر: إحنا نتصل بعميد كلية الإعلام، ونقوله إحنا بنساعد في القضاء على البطالة فعملنا جورنال جديد، ومحتاجين كام طالب من خريجي الكلية الجداد، بس عيال صح عشان ياخدوا فرصتهم، فياريت حضرتك ترشح لنا كام واحد.

- والي: هي فكرة يا شاكر، بس دول لسه متخرجين يعني صغيرين.

- شاكر: يا باشا، يا باشا فيه عيال في سنهم بتكتب زُبَد، ومعظمهم عيال كفرانه، يعملوا اللي ما يقدرش حد تاني يعمله، ولو اتفقنا مع حد كبير هيقولك اسمي، مرتبي، وماحدش يقولي اكتب وما تكتبش وصداع مزمن يا باشا، أما العيال دي فشاطرة جدًّا ونقدر نشكلهم.

- والي: خلاص يا شاكر، نفذ.

- شاكر: أنفذ، أنا نفذت يا باشا.

- والي: إمتى ..؟

- شاكر: إمبارح كلمت العميد وبعدها بساعتين كلمني واختار لنا مجموعة هايلة زي ما بيقول، وبلغهم ونسقت كمان معاهم وأخدوا مني

ميعاد النهارده بالليل بس اسمح لي، في قصرك يا باشا، أنا قاصد في قصرك.

- والي: أقولك إيه يا شاكر ما أنت عملت كل حاجة.

- شاكر: تلميذك يا باشا.

المريوطية – حي الهرم

الثالثة عصرًا، كان حازم الديب أمام شقة صديقه منصور العباسي، هو من عائلة غنية بصعيد مصر، سمحت له ظروفه بأن يمتلك شقة فاخرة بأحد أبراج المريوطية.

استقبله منصور استقبال العائد من الغربة بعد فترة طويلة، حضن حار واستنكار في الوقت ذاته تأخيره عليه.

اعتذر حازم لمنصور وبدأ يشرح له أسباب هذا التأخير، فقاطعه منصور بأنه ليس لديهم وقت لذلك؛ لأن هناك من ينتظرهم في حجرة الصالون منذ ساعة ونصف الساعة تقريبًا، واعتبرها منصور مفاجأة لحازم.

- منصور: اتفضل يا أستاذ حازم

- حازم: يا ولاد الإيه

كان في انتظاره أصدقاؤه ممن وقع عليهم الاختيار للعمل في جريدة والي الحقاني وهم: محمود علام، وهند عبادي، وغادة مجدي، ومروة الشرقاوي بصحبة أخيها أحمد، هذا بالإضافة إلى حازم ومنصور.

مجموعة من الشباب قضوا سنواتهم الدراسية بالجامعة في جد وكفاح، وحصلوا على احترام وتقدير زملائهم وأساتذتهم ممن شهدوا لهم بالكفاءة وتوقعوا لهم في الوقت ذاته مستقبلًا مشرقًا فوق أرض قلما سمحت لضوء الشمس أن يقترب من بسطائها.

جلس حازم متوسطًا زملاءه، وبدأ منصور هذا الجاد والمرح في الوقت نفسه يذكرهم بالأيام الخوالي وذكريات الجامعة الجميلة والمواقف والظروف التي جمعتهم.

أخذهم الحديث عن ذكرياتهم قرابة الساعة، ساعة كانت حافلة بالضحكات والسعادة والبهجة، قاطعتها طرقات عنيفة على باب الشقة، فأسرع منصور نحو الباب قائلًا:

أبو بكر محمود وصل يا رجاله. حضن لا يقل حرارة عن سابقه، كاد منصور أن يفعصه مداعبًا إياه قائلًا:

فيه جرس يا بكار، فيه جرس مش لازم تكسر الباب.

لايزال أبو بكر طالبًا بالسنة النهائية بكلية الإعلام، جسد نحيل يرتدي بنطالًا من القماش الرديء، وقميصًا تجلت من تحته معالم جسده وهيكله العظمي، تحزم بحزام عريض ليس له علاقة بملابسه، تحزم به بشدة وتتوقع في أي لحظة أن ينفصل أعلاه عن أسفله، فزملاؤه دائمًا يتعجبون من حزام أبو بكر المضغوط بقوة على منتصفه رغم نحافته، هل هو فخر بالنحافة أم عضة على بطن خاوية لطالما أجهدها الجوع؟

كان أبو بكر ابنًا لفلاح بسيط من كفر الشيخ، يقيم في المدينة الجامعية، ويعمل في أكثر من جريدة مغمورة بعد المحاضرات، وقلما سافر إلى أهله للحصول على دعم مادي يعينه على مصروفات الحياة والدراسة، ويفضل دائمًا أن يعتمد على ذاته، وأن يكون معينًا لأهله لا عالة عليهم.

- منصور: اقعد يا بكار، حزامك حلو اقعد، اتأخرت ليه

- أبو بكر: المواصلات زفت، والحياة زفت، وكل حاجة بقت.....

قاطعه منصور هذا الذي يريد أن يكمل حديثه عن الذكريات، فاستوقفه محمود علام طالبًا منه أن يتحدثوا فيما هو أهم الآن والذي دفعهم للحضور والمقابلة، علم حازم والمجموعة من منصور أن الدكتور معاذ عبد الله قد كلفه عميد الكلية بالاتصال بهم لأن هناك فرصة عمل رائعة في جريدة جديدة تحت الإنشاء وهي في حاجة إلى كوادر شابة وجيدة وأن هناك مقابلة لهم اليوم في تمام الساعة الثامنة مساء مع سكرتير صاحب الجريدة، وهو شاكر الأناضولي بالمنصورية.

وحتى تأتي الثامنة، جلسوا يعدون العدة، فرحين بما أتاهم الله من فرصة عمل رائعة لم يكونوا يحلمون بها.

أخذتهم خيالاتهم، هناك من يقترح اسما للجريدة، وآخر يبتكر شعارها، وثالث يضع إخراجها الصحفي، إبداعات عديدة ولدت في جلسة صغيرة، فكان الاسم من نصيب مروة الشرقاوي والتي اقترحت أن يكون اسمها "بلادي"، أما الشعار فقد ألقت به كل من غادة وهند "عظيمة يا مصر- يا أرض النعم"، لكن أخطأ محمود علام فكتبها "عظيمة يا مصر- يا أرض الغنم"، وتركوا جميعًا إخراجها الصحفي

للمبدع أبو بكر محمود الذي اختفى عن أعينهم فجأة تاركًا قدميه في المنزل تبحث عن أقصر طريق للمطبخ.

المنصورية

جاء شاكر في هذه الليلة التي ينتظرون فيها ضيوفهم من بسطاء هذا الوطن الباحثين عن لقمة العيش حاملًا في رأسه مشروعًا عبقريًّا كعادته.

يجتهد كثيرًا هذا الرجل حتى يحصل على مقعد في الخفاء.

مشروع عبقري ومن نوع جديد سوف يبهر جميع الكبار، لكنه يخشى من رد فعل الباشا، قد يقابل فكرته بالرفض والسخرية.

ولكن شاكر هذا الذي يحيا ويعيش ويعمل مع من نشأوا بالظلام، ليس صعبًا عليه أن يروج لفكرته، ويقنع باشيه بأساليبه الملتوية التي تلقنها في مدرسة الكبار.

اقترح شاكر على والي الحقاني أن يقوم بشراء الكباري في مصر، كاد أن يسقط من يد والي كأس الخمر الأسترالي بعد إصابته بشرنقة عندما سمع ما قاله شاكر.

ضحكات عالية أقرب إلى الهيستيريا لا تدري مصدرها، هل هو كأس الخمر أم سخرية من شاكر وفكرته؟ اجتهد والي الحقاني في تمالك نفسه ورد ضاحكًا ساخرًا:

- والي: إنت اجننت يا شاكر، اجننت يلا، اشتري الكباري، طب اعمل بيها إيه والناس تمشى فين؟

- شاكر: يا باشا، يا باشا ممكن بس تسمع.....

- والي: أسمعك، أسمعك إيه يا حيوان، الكباري طرق عامة وحقوق فطرية وشرعية لأي واحد، يعني زي الأكل والشرب بالظبط، قال اشتريها قال.

- شاكر: طب بلاش كلمة تشتريها، خليها خصخصة يا باشا

- والي: انت هتجنني يلا، خصخصة إيه، انت عايز تضحك الناس علينا؛ شاكر إنت خربت، خربت يا شاكر، معدتش نافع، اطلع بره، بره يا شاكر.

- شاكر: أرجوك يا باشا اسمعني وبعد كده اعمل اللي إنت عايز تعمله أرجوك.

- والي: قول، قول يا حيوان.

بدأ شاكر هذا التلميذ النابغة في مدرسة الظلام في استخدام أساليبه الملتوية والعبقرية في إقناع باشيه، واستطرد كثيرًا في كلامه حتى سحره وأقنعه بأن البلد كلها اتباعت، وأن هذا المشروع سوف يدر عليهم دخلًا عظيمًا، بالإضافة إلى أنه سوف يحدث توازنًا بين "اللي فوق واللي تحت"، وذلك من خلال وضع بوابة لتحصيل الرسوم عند مصعد كل كوبري، تمامًا على غرار تلك الموجودة بين القاهرة والإسكندرية مثلا.

وكل من يريد الهروب من الزحام والاختناق ويتجه إلى أحد الكباري عليه أن يدفع، واستند شاكر في كلامه مع والي الحقاني مدعيًا ثقافته أن الخديوى إسماعيل قد فعل ذلك بعد افتتاح كوبري قصر النيل.

اقتنع والي بكلام الساحر، ولخص إعجابه به ورؤيته له بجملة واحدة "يا ابن المجنونة يا شاكر"، صفقة عظيمة لك يا باشا ومصدر جديد لامتصاص دماء البسطاء، وخطوة واسعة لك يا شاكر، للإمام نحو مقعد بين الكبار، في الظلام.

لكن لم يكن يعلم شاكر ولا والي الحقاني أن كل هذا الوطن أصبح "تحت"، لم يكن يعلم شاكر ولا باشيه أن هذا الوطن ليس له

علاقة بمصطلح "فوق" إلا من خلال مشاهدته للأفلام الأجنبية وعالم الغرب.

لم يكن شاكر ولا والي على علم بذلك؛ لأنهم لم يعودوا من هذا الوطن، هم من نسيج آخر اختلفت أوباره وشكلته عن نسيج الأشقياء، وجه قبيح وملوث ونسيج قذر لهؤلاء الكبار.

قاطع حديث والي الحقاني مع شاكر أحد خادمي القصر- يخبرهم بأن هناك من يريد مقابلة الباشا وشاكر، فأمره شاكر بإدخالهم إلى حجرة الصالون، وإحضار ما لذ وطاب لهم على الفور.

ما يقارب خمس عشرة دقيقة كانت مدة انتظارهم في حجرة الصالون، لم يشعروا بها فقد أنفقوها في تأملهم لهذا القصر- المرصع بالرخام الجرانيت، وربما تكلفة حائط واحد في هذه الحجرة أو هذا القصر هي كفيلة ببناء منزل مريح لأبو بكر وأسرته.

وسبق قدوم والي الحقاني وسكرتيره الخاص بدقيقة أو دقيقتين صفصف عزوز خادمة القصر الأولى والتي أحضرت لهم مشروبًا ثانيًا، هذا بالإضافة إلى طبق كبير على منضدة متحركة حوى تقريبًا كل أنواع

الفاكهة على شكل هرم تساوت أضلعه وتشكلت ألوانه، ومن باب خلفي آخر لم يلاحظه أحد دخل والي الحقاني وشاكر الأناضولي.

- والي: مساء الخير

- المجموعة: مساء الخير يا فندم

- والي: اتفضلوا على الترابيزه دي

كان والي الحقاني جادًا وعمليًّا ويشعر بأهمية نفسه كثيرًا ودائمًا، كان مريضًا بالنرجسية والأنا وتضخمت ذاته شكلًا ومضمونًا، فهو أشبه بقطعة لحم واحدة تربعت واستوت في كل جوانبها إلا في منطقتين فقط، فقد أصابتهما التخمة والبروز، مؤخرته وبطنه، فأصبح كبطة تسبح في مياه راكدة، لا يُرى منها إلا رأسها.

جلس الجميع على منضدة بيضاوية، ملأ كل منهم كرسيه إلا أبو بكر فقد فضحته نحافته.

- شاكر: طبعًا يا جماعة أنا مش هعرفكو بوالي بيه ولا هقولكو مين هو

- منصور: وهل يخفى القمر يا شاكر بيه

- والي: شكرًا يا بني، إنت اسمك إيه؟

- منصور: منصور يا باشا

- والي: طبعًا يا منصور إنت وزمايلك عارفين إنتو ليه هنا النهارده

- منصور: أيوه يا باشا

- والي: أنا مش هكدب عليكو، شاكر هو صاحب فكرة الاستعانة بيكو بدل منجيب حد كبير، وفي الأول كنت رافض بس أقنعني بكلامه، فمش عارف هل هتقدروا تشيلوا مسؤولية جورنال طالع جديد وكبير، ولا هيبقى تقيل عليكو

- حازم: والله جرب يا فندم ومش هتخسر حاجة، وقبل نزول أول عدد شوفه لو معجبش سيادتك شوف صحفيين كبار غيرنا.

- والي: كلامك معقول وكمان واثق من نفسك قوى يا أستاذ....

- حازم: حازم يا فندم

- والي: بص يا أستاذ حازم، أنا بحب البلد دي قوي، ونفسي على أد مادتني وكبرتني أرد شويه يا أخي، ولا إيه يا جماعة.

- مروة: ده مبدأ نبيل يا فندم

- شاكر: بعد إذن معاليك يا باشا ندخل في الموضوع ونتكلم في الشغل.

- والي: دايمًا سخن يا شاكر.

- شاكر: عشان وقت سيادتك يا فندم، بصوا يا جماعة قبل متكلم عن طبيعة الشغل كل واحد فيكو هياخد إن شاء الله ألفين جنيه في الشهر.

- محمود: معلش يا شاكر بيه، باستثناء الأستاذ حازم، ممكن تزوده شويه عننا.

- والي: إشمعنا الأستاذ حازم، هو أنتو مش دفعة واحدة ولا إيه

- منصور: أيوه يا فندم بس حضرتك ممكن تقول إنه الأستاذ حازم هيبقى زي رئيس التحرير بتاعنا، هو أشطر واحد فينا، وكان الأول على الدفعة كمان.

- شاكر: طب لما هو الأول على الدفعة متعينش ليه معيد في الكلية.

- هند: عينوا البنت اللى بعده يا فندم عشان أبوها دكتور في نفس الكلية.

- والي: مش مشكلة يا شاكر، زود الأستاذ حازم ألفين جنيه كمان وارجع لموضوعنا.

- شاكر: الجورنال بتاعنا يا جماعة هيكون جورنال عام بيتكتب في كل حاجة، وأهم حاجة عندنا نملا الورق مانشيتات، وصور، وتحقيقات جامدة؛ وما فيش كلمة واحدة ضد الحكومة.

- حازم: مانشيتات، وصور، وتحقيقات جامدة ومافيش ولا كلمة ضد الحكومة؛ ليه هنكتب في الجنس ولا إيه يا أستاذ شاكر؟ ويعني إيه مافيش كلمة واحدة ضد الحكومة مش فاهم.

- والي: هو كده يا أخي، مافيش كلمة واحدة ضد الحكومة، على الأقل لحد لما تمشي وييجي غيرها.

- غادة: يعني ننافق يا فندم؟!!

- والي: مين قال إنك تنافقي يا بنتي؟! أنا بقول نبعد عن الحكومة، معرفش ليه الناس في البلد دي بتكره الحكومة قوي كده يا جماعة مع إنها شغالة ليل نهار عشانكو وعشان غيركو؟!

- حازم: شغالة ليل ونهار عشانه وعشان غيرنا، ماهو باين السعد والهنا اللي الناس عايشه فيه.

- شاكر: أستاذ حازم، بعد إذنك بلاش كلام في السياسة ومتنسوش يا جماعة إنتو قاعدين مع مين.

- حازم: يعني إيه يا أستاذ شاكر اكتب اللي إنت عايزه وأنا مش مقتنع بيه.

- شاكر: يا أستاذ حازم، يا جماعة، مقلناش كده، والي باشا بيقصد نبعد عن الحكومة ونكتب في أي حاجة تاني، أي حاجة تفيد البلد يا أخي.

- هند: تفيد البلد!

- شاكر: أيوه يا أستاذة، تفيد البلد.

- محمود: طب نسمع يا أستاذ شاكر نفيد البلد إزاي وحنبدأ منين.

بدأ دور الساحر رجل الظلام والمواقف الملتوية شاكر الأناضولي محاولًا جذبهم بشتى الطرق، لاسيما في حديثه عن المادة، وأنهم سوف يحققون كل شيء بالعمل مع والي الحقاني، وتحولت جلستهم إلى حديقة غناء بأحلام قادمة اشتاق إليها الجميع، ونجح شاكر إلى حد كبير في إقناعهم، فقد كان رائعًا في حديثه وطريقة عرضه، كان ناعمًا كجلد الأفعى، ثم فاجأهم بحملة شراء الكباري في مصر، وبأنها سوف تكون أولى حملاتهم الصحفية.

- حازم: سيادتك اجننت يا شاكر بيه!

- أبو بكر: حد يشتري الكوبري! "ضحكات فاضحة"

وضحك الجميع ساخرين من شاكر وفكرته واكتفى والي الحقاني بالنظر إليه حتى يرى ماذا سوف يفعل حيال ذلك.

- شاكر: أيوه هنشتري الكباري، وزي ما قلتلكوا عشان نوازن بين اللي فوق واللي تحت.

- حازم: توازن بين اللي فوق واللي تحت ولا عشان تمصوا دم الناس زيادة ياخي ارحموا الناس بقا، ارحموها.

- والي: بصوا يا شباب، أنا معنديش وقت أضيعه ولا للمهاترات ديه، أنا قررت أشتري الكباري سواء رضيتوا أو مرضيتوش، مالوش لزمه عندي، بيكو أو بغيركو هروج للموضوع ده وهعمله.

- حازم: يعني إيه يا باشا، هو مافيش قانون؟!

- والي "ضاحكًا ساخرًا": قانون، لا فيه يا حبيبي، فيه قانون بس أنا هغيره، بفلوسي أعمل أي حاجة أنا عايزها في البلد دي، أبيع وأشتري، أغير القانون وأحط قانون غيره، فلوسي تعمل وحصانتي تحمي، على العموم كلامي خلص يا شباب، اتصالكو بشاكر، شرفتوا..

غادر حازم قصر- والي الحقاني غاضبًا هو وزملاؤه الذين سبقتهم خطواته نحو الشارع.

هذا الباشا الذي اعتاد في حياته أن يشتري كل شيء بالمال، هذا المال الذي جعله يقول نحن نفعل ما نريد في هذا الوطن، ولا يوجد

أحد يفعل إلا ما نريده، إذن الساسة لهم الأضواء والشهرة والأولوية على شاشات الإعلام، ولكن على أرض الواقع الاقتصاد يسبق السياسة بكثير، السياسة تحتل المقعد الثاني وليس الأول، والاقتصاد هو الأب الشرعي وغير الشرعي لكل من حوله.

إلى أين يذهب حازم الآن؟ هو لا يريد العودة إلى منزله وهو في هذه الحالة، لا يريد أن تراه نورا هكذا رغم حاجته الماسة للجلوس معها الآن.

لحق به زملاؤه، منهم من معه ومنهم من غضب منه، أخذ مقعده في سيارة منصور وبرفقته أبو بكر، ومحمود علام، انطلق منصور بسيارته دون أن يسألوه إلى أين تأخذنا يا منصور؟ ومن خلفهم سيارة أحمد الشرقاوي الأخ الأكبر لمروة، ومعه مروة وهند وغادة، خمس وعشرون دقيقة انقضت، أطالها صمت الأصدقاء، وفجأة توقف منصور بسيارته أمام أحد المقاهي على الطراز الحديث -أو كما يطلقون عليه كوفي شوب- بشارع جامعة الدول العربية بحي المهندسين، هذا الشارع الذي علم حازم بعد ذلك أنه يحتل في مكانته وشهرته مكانة تسبق شارع الهرم ذاته.

لم تكن لدى حازم الرغبة في دخول مثل هذه الأماكن، ولكن أصر منصور على ذلك من قبيل محاولة نسيان ما حدث.

- منصور: يلا يا جماعة اتفضلوا بس ياريت تختاروا ترابيزة تكون في قلب المكان.

- مروة: لازم يعني في قلب المكان؟

- منصور: أيوه، دخلوا جميعًا إلى هذا المقهى، عيون هناك تنظر وعيون أخرى تترقب. ما هذا؟! إنه عالم آخر من الحياة، عالم معزول حتى عن الشارع الذي أمامه، عيون هناك أرادت الانعزال بكامل إرادتها وعيون أخرى أجبرت على ذلك.

جلسوا على منضدة انتصفت هذا المقهى تقريبًا، تماما كما أراد منصور، جاءهم شاب ذو ملامح طيبة وسيم بيده أجندة صغيرة وقلم، ثم بدأ بالترحيب بهم:

- الشاب: مساء الخير، تؤمروا بإيه؟

- منصور: ٨ لمون "دون أن يعود لزملائه"

- أبو بكر: لا أنا عايز كوكتيل.

وبسرعة كتب هذا الشاب ما نطق به منصور، وأبو بكر في أجندته الصغيرة، ثم أمر شابًّا آخر يقف في الخلف بسرعة إحضار ما طلبوا قائلًا له "٧ لمون وواحد كوكتيل وصاية".

شباب بدا عليهم مستوى تعليمهم ولباقتهم، لكنها ظروف المجتمع. جلسوا ينتظرون الليمون ويتناقشون فيما حدث منذ قليل، لكن حازم ليس معهم مطلقًا، هو في ذلك المكان ترك أذنيه رغم أنفه تسترق أطراف الحديث من هنا وهناك.

لهجات مختلفة تسمعها أذناه، لكن اللهجة الخليجية تغلب على معظم من يجلس بالمقهى، أصابته الحيرة والدهشة فسأل منصور:

- حازم: منصور إحنا قاعدين فين، في بلدنا ولا في الخليج؟!

- منصور: لا يا حازم إحنا في مصر في بلدنا، بس في موسم الصيف.

- حازم: موسم الصيف، يعني إيه؟

- منصور: يعني موسم السياحة.

المنضدة المجاورة لحازم -على يمينهم- تجلس عليها فتاة جميلة ذات لهجة مصرية، وخليجي مسن تبدو عليه كل علامات القبح،

يرتدي العقال، وبيده سبحة يقترب منها، يدندن لها في أذنها، تبتسم له ابتسامة كاذبة.

هل يشعر بنفسه هذا التافه المسن الذي يجلس مع فتاة من سن أبنائه؟ رمى حازم بأذنيه ربما يسترق سمعه شيئًا ما من كلامهم، فضوله في مثل هذه المواقف خارج نطاق التحكم.

-الفتاة: بس اسمع أنا ليلتي بـ ٢٠٠ دولار، أصل الأسعار بقت ولعة والحياة بقت صعبة موت واحنا عايزين نبني البيت.

- الخليجي: هذا والله كتير.

- الفتاة: خلاص معطلكش، وبعدين بص لنفسك.

- الخليجي: لا تزعلي، والله هالقمر يستاهل أكتر من ذلك، ضحكات متبادلة بينهما ثم طلبا الحساب.

كلمات كادت أن تصيب حازم بالانهيار، ماذا يحدث أو ماذا حدث لهذا الوطن؟ هل هذه هي السياحة، سياحة ماذا؟

السياحة إما ثقافية، أو علاجية، أو دينية، هذا ما يعرفه، كل علامات الاستفهام كانت ملامحه.

أي سياحة أرادها العرب في مصر؟ وأي سياحة سمحت بها مصر؟

أي سياحة على منضدة يتم الاتفاق عليها على جريمة من أبشع جرائم الأرض؛ سياحة ماذا؟!

هل الدعارة أصبحت سياحة؟ ماذا تركت هذه المقاهي لكباريهات الهرم المغلقة على روادها في الخفاء؟ تخفي داخلها راقصاتها، وعاهراتها، وشاربي الخمر عن أعين الناس، لكن هذه المقاهي اخترقت هذا الحاجز وأعلنت عن مضمونها بقوة وعلانية.

كان صعبًا عليه أن تستمع أذناه بروتوكولًا للزنا على منضدة بجواره بين سفيه عربي وفتاة مصرية على أرض هذا الوطن.

هل يعلم الكبار بما يحدث في هذا المكان؟

هل يعلم الكبار بنوع السياحة التي يقصد العرب بها وطنهم؟

نعم يعلمون، هم لا تخفى عليهم كبيرة ولا صغيرة في هذا الوطن، يعلمون ويتجاهلون؛ لأنهم يريدون دخلًا ومالًا أيًّا كان مصدره، هم يخافون من ضياع الدينار الكويتي، والدولار الأمريكي العائد عليهم من هؤلاء الذين امتلأت بهم فنادق وأحياء القاهرة، هم

يخشون من ضياع هذا الرزق الحرام -عفوا- هذا المال الحرام. ما رزق الله مطلقًا إنسانًا من حرام، وإنما الإنسان نفسه هو من يسعى للحرام بكامل إرادته.

خوف جديد لهؤلاء الكبار، لكنه من نوع آخر، من نوع لا يعرفه إلا من أكل من حرام، شعوره الدائم بأن ما لديه قد يذهب في أي وقت؛ لأنه لم يعانِ في جمعه؛ تحليلات، واستفهامات عديدة في رأسه.

لا يزال حازم يتابع هذه المنضدة، دفع العربي الحساب وترك -هو والفتاة- المكان حتى أتت سيارة فارهة، توقفت أمام مدخل المقهى ليصعد إليها هذا السفيه وهذه العاهرة، هَمٌّ وحزن في عينيه ومن ورائهما صمت حزين، قاطعه منصور:

- منصور: إيه يا حازم، رحت فين؟!

- حازم: لا، مفيش حاجة

- منصور: طب اشرب اللمون

أخذ حازم كوب الليمون وعيناه تنظران هنا وهناك، تتأملان هذا العالم الجديد عليه، كيف يُدار؟ كيف يحكم؟ ما قوانينه؟ وما هي قواعده؟ لا تزال هناك تساؤلات عديدة في رأسه ولا يجد لها جوابًا.

التفت حازم إلى يساره، وقعت عيناه على منضدة هناك في العمق تجلس عليها فتاة أخرى لكنها وحيدة، تنظر إليه وتبتسم.

ماذا تريد هذه الأخرى؟ ربما تريده في مكان سفيه آخر تغيب عن حضوره، أو هي تأتي لهذا المكان لتصطاد، أو ليتم اصطيادها. ترك حازم مكانه فجأة دون أن يستأذن من زملائه واتجه صوب هذه الفتاة، تكرار آخر لابتسامة مزيفة أخذها حازم إشارة للجلوس.

- حازم: ممكن أقعد

- الفتاة: ما أنت قعدت خلاص

- حازم: على فكرة أنا مش.....

- الفتاة: عارفة

- حازم: عارفه إيه؟

- الفتاة: أنا شايفاك من أول ما قعدت وإنت عينك على الراجل العربي والبنت اللي معاه وشفتك مضايق جدًّا، يا شيخ كبر البلد باظت.

- حازم: إيه؟! البلد باظت، يعني إيه؟

- الفتاة: ما أنا واحدة قدامك أهو متعلمة وبنت ناس بس أبويه على المعاش، وزي ما أنت عارف مرتبات الحكومة في مصر، ياريته كان لعيب كورة ولا ممثل ولا.... بلاش، قول لي أعمل إيه؟

- حازم: يعني إيه تعملي إيه؟! تنحرفي وتقولي أعمل إيه، شوفي أي شغلانة نضيفة.

- الفتاة "ضاحكة ساخرة ": شغلانة نضيفة، هي فين الشغلانة النضيفة دي؟ المتعلمين مليانة بيهم الشوارع يا أستاذ، بتاع الشيشة ده معاه كلية حقوق، والعيال الجرسونات دول معظمهم كليات يا أستاذ، يا أستاذ بص حواليك وشوف الناس في بلدك عايشه إزاي، الناس في مصر تصعب عليك، نصهم بياكل في بعض، والنص التاني يصعب على الكافر، طب بقولك إيه يا أستاذ متزعلش نفسك، وخليك إنت مكاني، وشوف لي أي شغلانة نضيفة بس تعيشني صح، فاهم؟ تعيشني صح، مش زي عيشة المدرسين في الأقاليم لا دروس خصوصية ولا مرتبات كويسة.

- حازم: خليني مكانك! يا آنسة الغاية لا تبرر الوسيلة.

- الفتاة: ده كلام كتب

- حازم: إنت اسمك إيه؟

- الفتاة: سلمى

- حازم: إيه..! "ابتسامة على وجهه دون قصد"

- الفتاة: هو إيه اللي بيضحكك يا.....؟

- حازم: حازم

- الفتاة: هو إيه اللي بيضحكك يا حازم؟

- حازم: لا مفيش حاجة، متمتمًا بينه وبين نفسه "صدفة بنت كلب".

سلمى أخرى، وفي اليوم نفسه، وفي هذا المكان، لكن شتان بين سلمى وسلمى، سلمى المريضة وسلمى العاهرة، سلمى التي تجري الفحوص والتحاليل هناك في المستشفى، وسلمى التي تبحث عن رزيلة هنا في هذا المكان، سلمى تعاني وسلمى أخرى تزني.

- الفتاة: إيه.. مش عايز رقم تليفوني؟

لم يرد حازم ولو بكلمة واحدة، واكتفى بنظرة ثاقبة تجمع بين الحسرة عليها واحتقارها في الوقت نفسه.

تركها وعاد إلى زملائه، جلس صامتًا وحزينًا، لأول مرة يعجز عن الرد، وفي الوقت نفسه رافض لكل ما تفعله، حاصرته تساؤلاته من

جديد، من المسؤول عن سلمى العاهرة وغيرها؟ من المسؤول عن تحول موسم السياحة والصيف إلى منتجع للدعارة؟

هل هي ظروف الحياة ومقتضياتها؟

وإذا كانت هي ظروف الحياة ومقتضياتها، فمن المسؤول عن نشأة هذه الظروف حتى يتم حسابه؟

أين الكبار ليجيبوه الآن..؟ أين الكبار..؟

ربما هم في قصورهم مشغولون بمتابعة أرصدتهم في البنوك والبورصة.

حزين هو على هذا الوطن. إذن والي الحقاني كان صادقًا في كل ما قاله لهم منذ قليل، هذا الكبير وغيره هم من سمحوا بهذه السياحة، هذا الكبير وغيره هم من وافقوا عليها ويقومون بحمايتها.

هذا الباشا وغيره هم المسؤول الأول والأخير عن هذا الانهيار، ولمَ لا؟ أعلن والي الحقاني عن سطوته ونفوذه أمامهم وعلانية.

- منصور: يا حازم، يا جماعة هنعمل إيه دلوقتي، عايزين نفكر عشان ناخد قرار صح.

دار بينهم نقاش وجدل تباينت درجته بين حادٍّ تارة، ومستقر تارة أخرى، واختلف مضمونه بين مؤيد ومعارض.

هند، وحازم، وأبو بكر، ومحمود علام متمسكون بمبادئهم ونظريات القيم التي لا تُشترى بالمال لكنها فقدت حماية المجتمع، أما منصور، ومروة، وغادة فقد كان لهم رأي آخر، ظاهره يتعارض مع القيم والأخلاقيات وإن اتفق مضمونه مع مقتضيات الحياة ومنحنيات الواقع، فهم يرون أن الكتابة لصالح حملة شراء الكباري في مصر عملًا عاديًّا وليس جرمًا يعاقب عليه القانون أو الدين أو المجتمع، فهم لن يشاركوا في حملة عن بيع الخمور مثلًا، وإذا لم يقبلوا هم هذا العرض ويقتنصوا هذ الفرصة فهناك الآلاف إن لم يكن الملايين على استعداد تام للكتابة والعمل في جريدة والي الحقاني.

قمة وقاع، خياران فقط في هذه الحياة، حياة تأبى أن يكون هناك ثالث.

لا يزال الصراع قائمًا بينهم، صراع حاد بين القيم والأخلاقيات، وبين مقتضيات وظروف حياة غير قادرة على حماية هذه القيم، لكنّ منصور هذا الذي يعميه طموحه كثيرًا عن التريث استطرد

قائلًا إن الإرادة الحقيقية ليست هي القدرة على تحمل ظروف الحياة وصعابها، إنما هي القدرة على كسر هذه الظروف وتذليل الصعاب.

- منصور: أنا قلت اللي عندي يا جماعة

- حازم: يعني إيه يا منصور؟ نشتغل إزاي، بأي طريقة وبأي أسلوب، هي الناس ناقصة يا منصور، دا الناس ماشيه في الشارع بتكلم نفسها ياخي، عايز كمان اللي يطلع الكوبري يدفع فلوس، انت اتخوت؟!

- منصور: لم يرد

غادرت المجموعة المقهى، وعاد كل منهم إلى منزله، وعند ظهيرة اليوم التالي تلقى منصور اتصالًا من شاكر الأناضولي يخبره بأن والي الحقاني في حاجة إلى رد سريع وعاجل اليوم، سواء بالموافقة أو الرفض للعمل في الجريدة.

وعلى أثر ذلك وبدعوة من والدة مروة الشرقاوي تقابلت المجموعة في منزل مروة وبعد جدل ونقاش افتقد إلى حدة الأمس وشدته، اتفقوا على أن يقوموا بالعمل في الجريدة.

وما بين غرة كل شهر ونهايته توالت التحقيقات الصحفية والأعمال الأخرى التي تتفق تارة مع مبادئهم وتزعجهم تارة أخرى إلى

أن جاءت هذه الحملة الصحفية الخاصة "بمستشفى والي للجراحة العامة"، والتي منحها والي الحقاني عنايته الشخصية حيث يتولى إدارتها ابنه الدكتور تامر خريج الجامعات الخاصة.

قامت المجموعة بالكتابة عنها والترويج لها طبقًا لما قاله لهم شاكر الأناضولي بأنه تم إنشاء هذا المستشفى لخدمة الغلابة والفقراء ومحدودي الدخل، وأنها تجري عمليات في الجراحة العامة بأسعار زهيدة وبالمجان.

هدف نبيل لكنه يتنافى ويتناقض كثيرًا مع مبادئ وحياة والي الحقاني وسكرتيره الخاص مما زاد من دهشتهم وتطلعاتهم حول رؤية هذه الحملة.

كانوا يرونها موعدًا مع الشرف، مع البسطاء ومع نسيجهم، كانوا يرونها موعدًا مع الخير ومع العطاء، وكانوا يرونها مسلكًا جديدًا اتخذه والي الحقاني، وإعلانًا عن توبته وكفه عن مص دماء البسطاء.

كانوا يرونها موعدًا مع أشياء كثيرة، تتفق مع مبادئهم وقيمهم التي طالما أرادوا العمل في ظلها حتى تتحقق لهم السعادة والرضا عن الذات.

وفي فضول معتاد لمروة الشرقاوي –كان قد مر على افتتاح المستشفى أكثر من ثلاثة أشهر، وأتت الحملة الصحفية بثمارها– طلبت من منصور أن يصطحبها بسيارته لإلقاء نظرة ميدانية على هذا المستشفى.

- مروة: منصور، ما تيجي نزور مستشفى والي، إحنا ممكن نعمل تحقيق تحفة مع المرضى هناك.

- منصور: والله فكرة يا مروة، طب اتصل بحازم وباقي العيال.

- مروة: مفيش وقت يا منصور عشان متأخرش على ماما إنت عارف هي بتقلق عليا.

- منصور: أوكيه، يلا.

خمس دقائق تفصلهم عن السابعة مساء، غادر دكتورتامر والي المستشفى، وكذلك شاكر الأناضولي.

ترك منصور سيارته بجوار المستشفى وقبل دخولهما توقفا لبرهة يتأملان هذا الإنشاء العملاق والرائع في تصميمه وبنيته، وفي الوقت ذاته استفهام داخل كل منهما عن هذا الصرح الضخم، كيف يكون للفقراء ومحدودي الدخل؟ جذب منصور مروة من يدها قائلًا:

خلصينا بقا، وأمام استعلامات وأمن المستشفى توقفا قليلًا وسألهم أحد أفراد الأمن:

- رجل الأمن: شاكر بيه عارف إنكو هنا؟

- مروة مترددة: أيوه هو عارف

قام رجل الأمن بالاتصال بشاكر الأناضولي على هاتفه الشخصي لكنه لم يرد فسمح لهما بالدخول.

- منصور: مروة إنت ليه قلتي إن احنا قلنا لشاكر؟

- مروة: معرفش يا منصور، جات كده وخلاص وبعدين أنا مغلطتش.

- منصور: لا إنت كدبتي بس

- مروة: خلاص يا صعيدي متعملهاش حكاية.

بدأا يتجولان في هذا المستشفى، من حجرة لأخرى، ومن طابق للذي يليه، ومن دهليز لآخر حتى هالهم هذا المشهد، أكثر من خمس نقالات يجرها ممرضون وممرضات تحمل أجسادًا تم تغطيتها بالكامل، تقريبًا الكل موتى، مشهد أهاب مروة كثيرًا والتي دفعها فضولها كالعادة ومن خلفها منصور إلى ملاحقة هذه الأجساد في خطوات غير محسوسة.

ومن جدار زجاجي عريض كانت الفاجعة حيث يتم تشريح هذه الجثث وتؤخذ منها أعضاؤها البشرية، ثم توضع هذه الأجساد بجوار أخرى هناك. ملامحها أجساد بسيطة أجهدها الفقر بل وطحنها، وهنا أصرت مروة على معرفة حقيقة ما يحدث في هذا المكان رغم أن الخوف والارتباك بدوا واضحين على وجه منصور، وألتفتت مروة إلى يسارها لتجد بالقرب منها لافتة مكتوب عليها حجرة المدير، فأسرعت نحوها تاركة منصور خلفها والذي تعلق بها وهو مرعوب، وفي ثوان معدودة كانا بالداخل.

- منصور: إنت هتودينا في داهية، إيه اللي بتعمليه ده؟

- مروة: لازم أعرف إيه اللي بيحصل بالظبط يا منصور؟ لازم.

- منصور: إنت مجنونة.

- مروة: ما أنا عارفة، عشان كده إنت حبتني، دور معايا.

- منصور: على إيه؟

- مروة: على أى حاجة، أوراق، مستندات، سي دي، شرايط فيديو، وبدأت مرحلة البحث عن أي مستند أو دليل يكشف لهم حقيقة ما يحدث في هذا المستشفى إلى أن وقعت في أيدي مروة هذه الأوراق

الخطيرة، وهي أصول لمستندات وأوراق شراء كلى، وبنكرياس، وفص كبد، وكل ذلك بأسعار زهيدة يقابلها مستندات بيع أخرى لأثرياء عرب، وأجانب، ومصريين بأرقام مغرية، هذا بالإضافة إلى بعض أسطوانات للحاسب الآلي عليها تصوير حي لعمليات جراحية كاملة في تجارة الأعضاء.

حصل كلاهما على ما يمكن الحصول عليه في أقل وقت ممكن، ثم خرجا من حجرة تامر الحقاني وتسللا في هدوء حتى لا يشعر بهما أحد، وأخفت مروة كل الأوراق والمستندات الأخرى في حقيبتها حتى لا تقع عليها أعين رجال الأمن، ولم تتنفس مروة الصعداء إلا بعد خروجها هي ومنصور من هذا المستشفى مودعين رجال الأمن بسلام سريع، ثم أخذا السيارة وانطلقا.

وعلى الفور اتصلت مروة بحازم والآخرين تعلمهم بحقيقة الأمر وما يحدث في مستشفى والي، واتفقت المجموعة على اللقاء في ظهيرة الغد في منزل حازم الديب، ثم تقاسم منصور ومروة المستندات.

وفي صباح اليوم التالي وفور قدوم تامر الحقاني للمستشفى، وبعد تناوله لقهوة الصباح وتصفحه لبعض الجرائد بدأ بمباشرة أعماله

اليومية الملوثة، وقبل مرور الساعة تقريبًا اكتشف اختفاء بعض الأوراق والمستندات المهمة بل والخطيرة في الوقت نفسه، فأسرع بالاتصال برجال الأمن والذين أخبروه بأن هناك صحفيين قد زارا المستشفى ليلة أمس بتصريح من شاكر الأناضولي، ولم يكمل رجال الأمن كلماتهم حتى تلقوا انقطاعًا مفاجئًا للصوت، وشعروا بأن هناك شيئًا ما خطأ قد أغضب دكتور تامر.

وفي فضول وغضب وعجلة من أمره سارع تامر الحقاني بالاتصال بشاكر

- تامر: شاكر، إنت بعت حد إمبارح من العيال الصحفيين للمستشفى؟

- شاكر: أنا، لا يا تامر، خير فيه إيه؟

- تامر: فيه إيه، فيه إن مستندات، وورق، وسي دي اتسرق من مكتبي يا سعادة البيه، ورق يودينا في ستين داهية

- شاكر: بتقول إيه يا دكتور، سرقة ومن مكتبك والأمن بيعمل إيه؟!

- تامر: الأمن بيعمل إيه، اتصل بالأمن يا حيوان وهما يقولولك بيعملوا إيه وفي خمس دقايق تكون قدامي

- شاكر: حاضر يا فندم.

أسرع شاكر الأناضولي بالاتصال برجال الأمن:

- شاكر: مين معايا؟

- رجل الأمن: إسماعيل يا باشا

- شاكر: مين العيال اللى جم المستشفى إمبارح يَلا؟

- إسماعيل: واحد وواحدة يا فندم، وقالوا إنهم صحفيين ومن طرف حضرتك.

- شاكر: من طرفي أنا، طب لما هما من طرفي مكلمتنيش ليه؟

- إسماعيل: اتصلنا يا فندم بس تليفون سيادتك كان دايمًا مشغول.

- شاكر: دايمًا مشغول، دأنا هطلع عين أمك، مين العيال دول يلا؟ أوعه تكون ما سجلتش أسماءهم كمان.

- إسماعيل: لا يا فندم، سجلنا أسماءهم من البطايق بتاعتهم، مروة الشرقاوي، ومنصور العباسي.

- شاكر: يومك إسود إنت واللي معاك يا شوية متخلفين.

أصابت الحيرة شاكر الأناضولي، ماذا سيفعل حيال ذلك؟ وهل سيخبر والي الحقاني بما حدث أم سيتخذ خطوات بمفرده؟ ومما

زاد الأمر صعوبة عليه أنه صاحب فكرة الاستعانة بهؤلاء الشباب للعمل في الجريدة.

ولكنه وجد ألَّا مفر من إبلاغ والي الحقاني بما حدث لأن الأمر يعد في منتهى الخطورة عليهم جميعًا.

- شاكر: أيوه يا باشا، فيه مشكلة كبيرة حصلت.

- والي: مشكلة وكبيرة، مشكلة إيه يا شاكر؟

- شاكر: فيه اتنين من الولاد الصحفيين جم المستشفى إمبارح وتقريبًا عرفوا كل حاجة وأخدوا مستندات مهمة من مكتب الدكتور تامر.

- والي: إنت بتقول إيه، دأنا أقتلك.

- شاكر: دا اللي حصل يا باشا

- والي: بص يا شاكر، إنت عارفني أنا مش هقولك إزاي دا حصل ولا إمتى، أنا هقفل معاك دلوقتي ومتكلمنيش غير لما تحل المشكلة دي بأي شكل وبأي تمن إنت فاهم، بأي شكل وبأي تمن والنهارده يا حيوان، النهارده.

- شاكر: حاضر معاليك.

كان حازم في انتظار أصدقائه في منزله، فقد أعدت لهم نورا مائدة لا تتكرر كثيرًا في منزلها.

وحضر الجميع وتأخر منصور فآثروا الانتظار حتى حضوره مستمعين جيدًا لمروة الشرقاوي تروي لهم تفاصيل ليلة أمس المريبة في مستشفى والي الحقاني، وشعر الجميع بالندم والخزي للعمل في مثل هذه الجريدة، ولدى شيطان في صورة بشر.

وحتى يقلل محمود علام من وطأة ما يشعرون به قال لهم إن الفرصة أمامهم للانتقام من والي وشاكر، واعتبر المستندات التي حصلت عليها مروة ومنصور ستكون بمثابة النهاية ليس فقط لمستشفى والي، وربما أيضا لكل إمبراطوريته إذا أخذ القانون مساره الطبيعي كمساره مع البسطاء، وفاجأهم حازم بأنه قبل مجيئهم قام بالاتصال بالصحفي والكاتب الكبير عبد الحليم الغلبان رئيس تحرير جريدة "الشارع المصري" واسعة الانتشار والتأثير، وأخبره بشكل مبدئي عن فضيحة مستشفى والي الحقاني، وقد رحب الغلبان كثيرًا بهذا السبق، وأبدى رغبته الجارفة في نشر هذه المستندات في حملة صحفية عملاقة

وجريئة للقضاء على فساد والي الحقاني وشركائه، كما أنه عرض على حازم العمل معه في جريدته هو وزملائه.

فرح الجميع ووسط هذا الشعور تنظر مروة إلى ساعتها من آن لآخر، فقد تأخر منصور كثيرًا، ورفضت تناول الغداء إلا في حضوره.

أكثر من اتصال تليفوني، لكن منصور لا يرد، دب الخوف والريبة في قلوبهم فأصرت مروة على الذهاب إلى منزله.

وافقها الجميع وصحبها محمود وهند وانتظر الباقون، ولم يستغرق محمود بسيارته من الفسطاط إلى المريوطية سوى عشرين دقيقة.

ومن أمام شقة منصور وقبل دخولهم تأكدوا أن هناك شيئًا ما حدث وأن مكروهًا قد ألمَّ به، فقد كان الباب مفتوحًا عن طريق الكسر.

أسرعت مروة نحو الداخل ومن خلفها هرول محمود وهند والكل ينادي بصوت شعر به كل سكان البناية حتى توقفت مروة عند أحد أركان الشقة دون أن تنطق بكلمة واحدة ثم سقطت على الأرض فأسرع محمود نحوها ليجد منصور يرقد في دمائه.

صرخة من العمق، مردودها كان الحب، الدماء، الفقدان، الضياع، الفساد، الظلم، الطغيان. كل هذه الأشياء كانت في صرخة

واحدة أطلقها محمود علام عندما رأى صديقه غارقًا في دمائه، أصبح كالمجنون، مات منصور، وسقطت مروة في غيبوبة، أما هند فقد التصقت قدماها بالأرض، وأصبحت كمشلول لا يقوى على الحركة.

وبأيدٍ أصابتها الرعشه ودغدغها الرعب قام محمود بالاتصال بحازم والذي حضر في دقائق معدودة، وكان قد سبقه إلى هناك رجال النيابة والتي لم تعثر على أي دليل مادي ضد من ارتكب هذا الحادث.

المنصورية

نعيم اقترب زواله، وقصر هزت جنباته وأركانه ضحكات عالية بين والي الحقاني وتلميذه نابغة مدرسة الظلام شاكر الأناضولي، وحديث متبادل بينهما قاطعته مداخلة عفوية من خادمة القصر صفصف عزوز -غريمة شاكر، وضحية نزواته الدنيئة- تخبرهم بأن أحد رجال الحراسة يريد مقابلتهم حيث أخبرهم بأن خبر مقتل منصور العباسي تم نشره بصفحة الحوادث في كل الجرائد الصادرة غدًا، وبأن زملاءه حازم الديب، ومحمود علام، وأبو بكر محمود قد سافروا مع الجثمان.

عاد والي، وشاكر إلى حديثهما من جديد، واستطرد والي الحقاني في حديثه قائلًا إنه لا يهمه مقتل منصور، ولا أيٍّ من هؤلاء الصعاليك الصغار، بل الأهم لديه هو حصوله على ٣٠٠ مليون دولار من البنوك،

واستمر ضاحكًا وساخرًا من فهمي الدستوري الذي لم يعلم بهذه الصفقة.

ورغم أن كاسات الخمر قد ذهبت بعقولهم، وأوشكت أجسادهم على الترنح، إلا أن شاكر نصح والي الحقاني بالسفر خارج البلاد، وألا يرد قروض البنوك شأنه في ذلك شأن كثير من أصحاب الحصانة وذوي السلطة والنفوذ من أبناء هذا الوطن المخلصين.

سوهاج – شرق النيل

إحساس من نوع آخر بالحياة في صعيد مصر، إحساس يذهب بصاحبه إلى عبق التاريخ، ويشعر ويشم هناك رائحة الفراعنة، هؤلاء الكبار في تاريخهم، ومضمونهم، وعراقتهم، وحبهم، وولائهم لوطنهم.

تركوا تراثًا وخلفوا أثرًا خالدًا، ويشك من يرى عظمتهم أننا أحفادهم ولو للحظة، أشجار ضخمة، ونخيل راحت أطواله تعانق السماء، كما لو كانت تعلن عن فخرها بانتمائها لهذا المكان، أو أنها ترحب بالزائرين، لكنها اليوم زيارة غير مرغوب فيها، زيارة سبقها صوت المنادي بمسجد قرية العباسي يعلن عن وفاة الأستاذ منصور العباسي بالقاهرة، زيارة حملت معها جثمان شاب قتل في ريعان شبابه، سكن النخيل عن هز أجنحته، وظلٌّ هناك نشرته أشجار كثيفة تحمي هذا الجمع الغفير من الناس من حر شمس لسعه، تراصوا في صفوف

مستقيمة على طول الطريق المؤدية إلى قرية منصور العباسي وحتى دوار عائلته.

وجوه اكتست بلون فرعوني أصيل، ومسحة حزن شديدة تجمعت في خطوط سوداء استقرت أسفل عيونهم، عيون لا ترى فيها إلا رغبة جارفة في الثأر والانتقام.

ولما تراءت للناظرين سيارة الإسعاف التي تحمل جثمان منصور تسمع هناك أنينًا لميلاد لحظة حزينة للغاية، هرول أخوته وأبناء عمومته مرددين: منصور منصور..... تزاحم الناس حتى اختفت السيارة عن أعين الناظرين، وتقدم الشيخان إبراهيم الرمكي، وأبواليزيد البسيوني لتهدئة الناس وفض الزحام، فهم أكثرهم تدينًا وتذكرة لهم، وأمرا بحمل الجثمان إلى المسجد للصلاة عليه.

مشهد مهيب لجنازة عظيمة يعتقد من يراها أنها لزعيم وطني وليست لشاب قتل في ريعان شبابه، ولكن ربما هكذا يكون صعيد مصر دائمًا، القيم والعادات والتقاليد والأخلاقيات، كلها تتجسد وبقوة في مثل هذه الظروف وغيرها؛ حقا إنها حياة من نوع سامٍ فقدتها وافتقدتها كثيرًا عاصمة الظلام.

ليلة لن تمر بسهولة على عائلة العباسي وكل القرية، ليلة لم يحسب لها مطلقًا الحاج إبراهيم العباسي، كان منصور بالنسبة إلى أبيه حلمًا تم تحقيقه، ونبراسًا لكل عائلته وبلدته، لم يكن يتوقع يومًا أن يتبخر هذا الحلم دون عودة وللأبد، ولكن ربما هكذا الأحلام أحيانًا، تُبْنَى في سنين طوال، وتضيع في ثوانٍ معدودة.

توسط الحاج إبراهيم العباسي سرادق العزاء في ابنه الأصغر منصور، ونصب عينيه مباشرة من الناحية الأخرى تبوأ حازم الديب مقعدًا له، وبجواره محمود علام، وأبو بكر محمود.

راح حازم هذا الذي لا يتوقف عن التفكير والتأمل دائمًا، أخذته أفكاره ووساوسه وتساؤلاته عن عائلة العباسي.

إذا كان كل هؤلاء في سرادق عزاء منصور، فكيف سيكون رد فعلهم؟! ابنهم قتل بأيدٍ غادرة، هل هذه العائلة بحجمها وثقلها الرهيب سوف تصمت، أم أن هناك ثأرًا وانتقامًا قادمين؟

الحاج إبراهيم ملامحه تخفي عن كثير، دموع تأبى أن تسقط الآن، تأبى الاستسلام، ولن ترضى إلا بمعرفة الحقيقة.

بعد أقل من ثلاثين دقيقة قطع الحاج إبراهيم العباسي هذا الصمت الحزين بصوت أجش وعميق –أجهده كثيرًا هذا اليوم– طالبًا من الشيخ إبراهيم الرمكي وأفراد عائلته السماح له بالذهاب إلى منزله، فهو لا يقوى على الجلوس، وطلب من الأستاذ حازم الديب وزملائه مصاحبته للمنزل، هو في حاجة للجلوس معهم.

في وقت ضيق وشدة، وفي ليلة مجردة من كل مشاعر الإنسانية، ليلة ليست كسابقيها، زاد ظلامها وتحزم ليلها بطول شديد، جلس الحاج إبراهيم العباسي في دواره وبجواره حازم الديب، ومحمود علام، وأبو بكر محمود.

وقبل أن يستقبل الكرسي جسده الكبير ساعده حازم، فقد كان جسده يرتعد ويهتز، وأطرافه ترتعش من وقع صدمته.

راح جسده يستريح مستقبلًا جدار المقعد، وقبل أن يلتقط أنفاسه التفت إلى حازم سائلًا:

- الحاج إبراهيم: قوللي يا ولدي، مين قتل صاحبك، مين قتل منصور؟ إنت أقرب واحد ليه في مصر.

- حازم: يا حاج ممكن بس ترتاح النهارده، وإحنا لسه قاعدين معاك يومين.

- الحاج إبراهيم: أرتاح، خلاص الراحة راحت يا أستاذ حازم، راحت مع منصور.

- حازم: يا حاج، منصور مش بس صاحبي، منصور أخويا وأكتر، أنا عايزك بس ترتاح النهارده.

- الحاج إبراهيم: أرجوك يا ولدي لو عايز تريحني بجد، وبتقول منصور أخوك تقوللي دلوقتي مين اللى قتله، أرجوك يا أستاذ حازم

- حازم: ويفيد في إيه يا حاج..؟

- الحاج إبراهيم: لا، لا يا أستاذ، ده ولدي، وولدي الغالي قوي عندي وعند كل الناس في البلد، عشان إكده دمه مينفعش يروح هدر، مينفعش يا ولدي، ريحني الله يخليك وقولي مين قتل منصور.

- حازم: مترددًا والي الحقاني يا حاج.

- الحاج إبراهيم: مين..؟ والي الحقاني

- حازم: أيوه يا حاج، والي الحقاني اللى كل يوم بتشوفه في التليفزيون، وهو صاحب الجورنال اللي كنا بنشتغل فيه أنا والمرحوم منصور عشان كده الموضوع صعب يا حاج.

- الحاج إبراهيم: والله لو هتلر في قبره ما حيوقفني عنه حد، إنت صح عشت مع منصور وعرفت قد ما تقدر عن طباعه، لكن معرفتش طباع أهله وناسه، قوم يا أستاذ حازم، قوم ارتاح إنت وزمايلك إنتو منمتوش من عشيه وجايين من سفر، قوم يا ولدي خلاص أمر الله نفذ.

ذهب حازم، ومحمود، وأبو بكر بصحبة عبد الرحمن أحد أحفاد الحاج إبراهيم إلى حجرة نوم الضيوف حيث هيأها لهم، كان الكل ينظر وهو في طريقه إلى موضع قدميه ما عدا أبو بكر فقد هاله كثيرًا هذا المنزل الضخم بحجراته المتعددة، وأسقفه المرتفعة، وسلالمه الأشبه بالعمودية حيث لا يقوى على صعودها إلا الرجال.

وما ولدت الدهشه في عيونه إلا لكونه يحيا في كفر الشيخ مع أسرته الطيبة والبسيطة في منزل هو أشبه بمعتقل محكم وصغير، قوامه غرفتان بينهما فاصل من طرقة بسيطة أضاع نصفها المطبخ والحمام، أما النصف الآخر فوضعت فيه كنبة صغيرة، ومنضدة من البلاستيك.

- عبد الرحمن: اتفضلوا

- حازم: شكرًا

- عبد الرحمن: لو احتجتوا أي حاجة قولوا يا جاسر

- حازم: حاضر

هيهات لنوم أن يأتي الليلة، وهيهات لقلوب أن تشفى في يوم وليلة، فقد زاد حزنهم ما رأوه عند دخولهم منزل إبراهيم العباسي، حيث اتخذت الحاجة نبوية والدة منصور ركنًا لها، وبجوارها كل نساء القرية يتشحن الأسود، وأحاطت بهن دائرة من ضوء خافت كان مصدرها قناديل معلقة على الحائط، يجيء ضوؤها ويروح كما لو كانت هي الأخرى مشاركة أهل هذه الدار في حزنهم، أو متأثرة بأَنَّات نساء تجمعت في لحن حزن خالد، تسمع فيه كل الآلام أذنك، ويقشعر له من وقع عظيم كلماته بدنك.

أصوات حزينة تخللتها أناشيد نواح صعيدية لا يفهمها ولا يجيدها إلا نساء قد ذهب بهم العمر إلى حيثما ذهب، وفجأة خرج عليهم الحاج إبراهيم صارخًا فيهن:

- الحاج إبراهيم: حرام عليكوا بطلوا "عديد"، ارحموا ولدي، ارحموا منصور، كلامكوا ده بيإذيه يا ناس، اللي بيحبه يدعي له، شغلي القرآن يا بت، ومش عايز ولا مرة في البيت.

- أم عبد الرحمن: حاضر يا عمي

وتلاحظ إذا ما كنت في هذه القرية أن الحزن في صعيد مصر- لا يشابه مطلقًا حزن القاهرة، تلك التي يشهد أحد شوارعها سرادق عزاء، وفي الشارع المجاور له سرادق لعرس، أو افتتاح لأحد المحال التجارية دون إحساس بالآخر، ولكن في قرية العباسي أغلقت جميع المحال والمقاهي، فلا تسمع صوتًا لأحد، ولا ضحكة في منزل أو حتى طفلًا يلهو في شارع، الحزن والفرح كلاهما هناك للجميع.

أرض الجولف – مصر الجديدة

أرسل شاكر الأناضولي كلاب الحراسة البشرية والبصاصين هنا وهناك لمراقبة خطوات حازم الديب وكامل أفراد المجموعة بعد عودتهم من صعيد مصر حتى يستطيع أن يسترد بقية ما حصلوا عليه من مستندات وأوراق تدين والي الحقاني وابنه وتكشف حقيقة وفضيحة مستشفاه، والتي قد تكون بداية لكشف فضائح أخرى.

جاء أحد رجال الحراسة مسرعًا -أجهدته كثيرًا خطواته- ودخل مكتب شاكر الأناضولي دون أن يطرقه:

- شاكر: إيه يا حيوان، مش تخبط ع الباب

- الحارس: آسف يا فندم بس الموضوع خطير

- شاكر: موضوع خطير، إيه هو انطق

- الحارس: حازم الديب، ومروة الشرقاوي، ومحمود علام، وهند عبادي، وأبو بكر محمود، وغادة مجدي كلهم راحوا جورنال "الشارع المصري" عشان يقابلوا رئيس التحرير عبد الحليم الغلبان.

- شاكر: دي كارثة، كان معاهم ورق.

- الحارس: أيوه يا فندم، معاهم شنطة

- شاكر: دي مصيبة لو عبد الحليم الغلبان الورق وقع في إيده هتبقى نهايتنا، عبد الحليم الغلبان ميروحش بيته، فاهم ميروحش بيته بس مش عايز قتل، دا صحفي وكبير

- الحارس: طب هنعمل بيه إيه يا باشا؟

- شاكر: اخفوه كام يوم، وبعد كده هنشوف نعمل إيه.

- الحارس: حاضر يا فندم.

بعد مرور ستة أيام على مقتل منصور العباسي، ويوم واحد على اختطاف الصحفي والكاتب عبدالحليم الغلبان عشية حصوله على المستندات والأوراق التي تدين والي الحقاني وتكشف حقيقة مستشفاه ذهبت زوجته وأبناؤه لتقديم بلاغ إلى النائب العام، وهاجت وماجت

نقابة الصحفيين مطالبة بالبحث والكشف عن ملابسات هذا الحادث واختفاء رمز من رموزها.

فقد كان عبد الحليم الغلبان يحتل مكانة من الأخلاق والقيم والمهارة ما يجعل الكل يقف خلفه كرجل واحد.

وتبارت الأصوات والأقلام الصادقة لكبار الكتاب والصحفيين في كل الجرائد تدين ما حدث وتتعدى في كتاباتها ما يسمونه بالخط الأحمر طارحة العديد من الأسئلة التي تبحث عن إجابة أو بيان:من وراء هذا الحادث..؟

ومن هم هؤلاء الذين دفعوا هذه الوحوش البشرية لاختطاف هذا الرمز..؟

علت الأصوات وزاد الضجيج وتحولت قضية اختطاف عبد الحليم الغلبان إلى قضية رأي عام خاصة بعد تدخل النائب العام.

كل ذلك دفع بشاكر الأناضولي أن يقترح على والي الحقاني بأن يطلقوا سراح الغلبان، فتم الاتفاق على إلقائه في الصحراء بعيدًا عن أعين الناس.

وفي ليل دامس زادت من ظلمته صحراء خاوية إلا من الحشرات والكلاب الضاله تم إلقاء عبد الحليم الغلبان من سيارة جيب سوداء عاريًا ومجردًا من ملابسه، وقد كسرت نظارته الطبية، فبدأ بالسير متحسسًا طريقه وهو لا يعلم أين وجهته، وهكذا حتى شروق الشمس ليعثر عليه أحد المارة بسيارته، وليستر عورته ويحمله إلى أسرته.

قمة وقامة، هكذا كان عبد الحليم الغلبان، وهكذا خرجت كل الصحف تصفه صبيحة العثور عليه، وبأنه بطل يقطن في قلاع الحرية، وقلم يحلق في سماء الصدق، وهيهات لهم من ظنوا أنها النهاية، بل هي كبوة عابرة، وحتمًا سوف يعود من بعدها هذا العجوز أكثر قوة وضراوة وإيمانًا في محاربة الفساد.

كان الغلبان قد حصل على جزء من المستندات المتبقية مع مروة ووضعها في حقيبته التي سرقت من طرف مختطفيه.

وفي حجرة التحقيقات رفض الغلبان التصريح بأي شيء، فقد حدث له الكثير في يوم وليلة، واكتفى بقوله بأنه سأل من قاموا بذلك سؤالًا واحدًا: إنتوا مين..؟ فأجابوه بأنهم من طرف الكبار، وأخذ

يتمتم ويقول: حسبي الله ونعم الوكيل، وطلب من رجال النيابة السماح له بالمغادرة.

قبل رجال النيابة مطلب الغلبان بصدر رحب، فقد كان يحتل مكانة مرموقة في قلوب الجميع ما عدا الكبار، وسألوه الراحة بعض الأيام في منزله على أن يعاودوا رؤيته بعد ذلك في وقت يحدده هو إذا رغب في الحديث معهم.

باريس – فرنسا

بعد فترة قصيرة لم تتعدَّ خمسة وعشرين يومًا هدأت خلالها الأقلام الصادقة، والأصوات المطالبة بالقبض على والي الحقاني وإعادته إلى مصر لاقتراضه ٣٠٠ مليون دولار من البنوك باسم حصانته وهروبه بها خارج البلاد.

وبعد أيام قليلة مرت على نظافة يده –وليست نفسه– من دم منصور العباسي وغيره ممن قتلوا في مستشفى والي للجراحة العامة قرر والي الحقاني أن يزوج ابنه الوحيد الدكتور تامر الذي اصطحبه معه هو وزوجته إلى باريس استجابة لنصيحة سكرتيره الخاص الذي نصحه بالهرب ومغادرة البلاد، وليفعل مثلما يفعل دائمًا أصحاب الحصانة، وممثلو الشعب في مثل هذه المواقف والظروف، هذا بالإضافة إلى تجنب السحابة السوداء التي نتجت عن مستشفاه الجراحي وما لحقها من مقتل منصور العباسي، واختطاف عبد الحليم الغلبان.

ورغم كل هذه الظروف أراد والي لابنه حفلًا لم يحدث من قبل، فقام بحجز أفخم القاعات في أكبر فنادق العاصمة الفرنسية باريس، وقام بالاتصال بالداهية شاكر الأناضولي لإعداد الدعوات لكل الكبار في البلد، وأمره بتجهيز طائرة خاصة تحمل على متنها هؤلاء الكبار من القاهرة إلى بارس مباشرة في يوم الحفل نفسه.

وقام رجل الظلام شاكر الأناضولي بإنجاز ما أمره به والي الحقاني، ووصلت الدعوات إلى كل الكبار الذين أرادهم والي الحقاني في باريس قبل ميعاد الحفل بثلاثة أيام.

ميدان فيني – حي الدقي

في عقار لم تزد طوابقه عن خمسة، وفي الشقة رقم ٧ مكتوب على لافتة عليها ضابط طيار حسام العباسي، اجتمعت عائلة العباسي وعلى رأسهم الحاج إبراهيم العباسي عند ابن أخيه حسام الذي درس بالكلية الجوية ويعمل ضابطًا طيارًا بالجيش.

اجتمعت العائلة تتناقش حول كيفية الثأر لفقيدهم منصور من والي الحقاني، ونشأ بينهم حوار ثري كان حسام هو المتحدث، وهم يستمعون إليه جيدًا حيث أخبرهم بأنه منذ وفاة منصور كلف حسام أحد أصدقائه -ويعمل ضابطًا في المخابرات- بمتابعة وجمع كافة التفاصيل الدقيقة عن والي الحقاني، وعلم من صديقه بأن والي قد غادر مصر في الأسبوع الذي قتل فيه منصور، ليس لخوفه منهم ولكن لاقتراضه ٣٠٠ مليون دولار من البنوك، وأرادها أن تكون له دون عودة فغادر البلاد.

حزن فوق حزن، هذا ما يمكن لك أن تراه على وجه الحاج إبراهيم العباسي وكل أفراد العائلة، علت الأصوات واختلفت الآراء وضاقت عليه الحجرة والدنيا بما رحبت، كيف سيثأرون من هذا الرجل وقد غادر مصر هاربًا.

اخترق ضيقهم اتصال تليفوني على هاتف حسام الشخصي من صديقه ضابط المخابرات عمر عبد اللطيف يعلمه فيه بأن والي الحقاني سوف يقيم فرح ابنه الوحيد الدكتور تامر يوم الخميس القادم في باريس، وقد دعا إلى هذا الحفل كل الكبار على متن طائرة خاصة.

- حسام: اتحلت يا جماعة، اتحلت يا عمي

- جاسر العباسي: اتحلت، يعني إيه يا حسام؟

- حسام: والي الحقاني هيجوز ابنه الوحيد الأسبوع الجاي في فرنسا، ودعا كل الناس المهمة للفرح

- جاسر: مش فاهم يا حسام، هو أنت حتسوق بينا طيارة لفرنسا ونموتوه هناك ولا إيه مش فاهم يا حسام، اتحلت ازاي؟

- حسام: يا جاسر، يا جماعة معنى إنه دعا الناس المهمة ديه وكمان في طيارة خاصة إنه بينهم مصالح، ولازم يحلوا له أي حاجة طالت ولا قصرت لازم يرجع مصر.

- الحاج إبراهيم: على رأيك يا حسام طالت ولا قصرت لازم يرجع بس معدش يهمني والي دلوكتي.

- حسام: يعني إيه يا عمي؟

- الحاج إبراهيم: إنت قلت فرح ولده وولده الوحيد، مش إكده؟

- حسام: تقصد إيه يا عمي؟

- الحاج إبراهيم: ولده قصاد ولدي

- حسام: طب ولده ذنبه إيه يا عمي؟

- الحاج إبراهيم: وأني ولدي ذنبه إيه؟ قوللي، ولد عمك ذنبه إيه يا حسام، منصور عمل إيه؟ وأخذ يبكي.

المنصورية

اتخذ شاكر الأناضولي من قصر والي الحقاني بالمنصورية مقرًا له ينعم به في غيابه، ويحقق بعض رغباته الدنيئه بعيدًا عن أعين زوجته التي منحها الله أروع صور الجمال، وحلاها بالأخلاق، والأدب، والدين، والإخلاص، والمثل؛ فكانت نموذجًا للزوجة الصالحة ولكنها تحيا وتعيش مع هذا العنكبوت، حالها في ذلك حال كثير من نساء هذا الزمان، يقدمون الإخلاص فلا يجدون مقابلًا له إلا الخيانة ولا تدري أهذا ابتلاء لهداية أم بلاء حتى النهاية؟ فلا نامت أعين الجبناء ولا أطاقت امرأة رائحة خائن.

وما بين حرصه وإخلاصه في الحفاظ على رغباته الدنيئة، وأيضا إنجازه لكافة ما أمره به والي الحقاني حول الإعدادات واللمسات الأخيرة والسابقة للعرس الملكي، لم ينسَ شاكر الأناضولي قط مراقبته لحازم الديب وكافة أفراد المجموعة، ولن يهدأ له بال إلا إذا استرد كل

ما حصل عليه منصور العباسي، ومروة الشرقاوي، والذي رجح شاكر أن تكون باقي هذه المستندات قد ذهبت إلى حازم الديب بعد مقتل منصور، وبعد الحصول على بعض منها عند اختطاف عبد الحليم الغلبان.

ولكن ما يثير دهشة وحيرة شاكر دائمًا هو لماذا لم يذهب حازم الديب بعد مقتل صديقه منصور إلى الشرطة مباشرة، ويقوم بتسليم المستندات والأوراق التي تدين والي الحقاني ومستشفاه؟ ولماذا آثر عبد الحليم الغلبان عن اللجوء للشرطة؟ ولكنه يعود من تحليلاته إلى أن حازم كان يرى أن نشر مثل هذه المستندات في جريدة بحجم وانتشار "الشارع المصري" فضيحة لا ساتر منها ولا لها، وأن الدنيا -وليست الشرطة وحدها- سوف تقوم لها ولا تقعد.

ولكن ما زاد حيرته وفضوله أيضًا هو لماذا لم يذهب حازم الديب حتى إلى النائب العام بعد علمه باختطاف أستاذه عبد الحليم الغلبان؟

لم يعد من تفكيره هنا بشيء، ولكن أخذته وساوسه إلى أن حازم ربما يكيد لهم مكيدة ويعد لهم العدة، وهكذا ما بين وساوسه ونزواته يقضي شاكر الأناضولي ليله دون أن يصل لشيء.

والحقيقة غير ذلك تمامًا، فلم يكن يعلم شاكر أن حازم الديب لا يخشى الموت مطلقًا في قضية آمن بها، وراح ضحيتها أعز أصدقائه، وأهين فيها أكبر رموزه، والذي أصيب بأزمة نفسية ألزمته الفراش، وأخرسته حتى عن النطق، واكتفى بأعظم القول "حسبي الله ونعم الوكيل".

ما خشي حازم الموت مطلقًا خشيته أن يترك نورا وابنه، لم تكن نورا بالنسبة إليه حبًّا فقط أو زوجة، بل كانت سحرًا فرعونيًّا تم نقشه على جدار قلبه حتى العمق منذ آلاف السنين، كان يسكن فيها وتسكن فيه، واستوت فيها لديه كل النساء، عيون خضر، وشعر حرير، ووجه لطالما عشقه متبسمًا أو متجهمًا، كلاهما لديه سواء.

من أجل ذلك كله كان عليه أن يتصرف بحكمة حتى لا يتعرض للقتل أو الخطف، ويترك زوجته وابنه دون رعية، كان يخشى عليهم من الضياع.

باريس – فرنسا

حفل مهيب تختلط عليك الرؤية عندما تراه، هل هو حفل أقامه الخديوي سعيد في عصره البذخ أم والي الحقاني مصاص الدماء؟

ويشعر كثيرون من غير الكبار إذا ما دخلوا هذه القاعة أنهم مجرد مجموعة من الصعاليك أخطأت المكان، أو ربما هو عالم آخر من الرفاهية والنعيم.

ووسط أجواء جمعت بين موسيقى كلاسيكية غربية ووجوه وملامح شرقية وقف والي الحقاني وبجواره ابنه الدكتور تامر في مقدمة مستقبلي المدعوين إلى الحفل.

في بداية الحفل جاء المدعوون المقيمون في باريس، وهم مصريون، وعرب، وأجانب؛ وفاصل موسيقى غير طويل تبعه ظهور الكبار القادمين من القاهرة على متن طائرة خاصة منهم مسؤولون،

ووزراء سابقون وحاليون، وأصحاب سلطة ونفوذ، وكلهم والي الحقاني.

بدأ الحفل وأخذ والي الحقاني يتنقل من مكان إلى آخر، ومن حوار للتالي، ومن شخصية لأخرى إلى أن جمعه ركن بعيد عن أعين الناس في هذه القاعة الملكية مع من يريده، هو من سيخرجه من هذا المأزق وهو من سينهي هذا الهروب.

- والي الحقاني: شرفت يا باشا

- فهمي الدستوري: شكرًا يا والي

- والي: كنت خايف إنك متجيش يا فندم

- فهمي الدستوري: ليه يا والي؟ صحيح أنا زعلان منك بس مش عشان نصيبي في ٣٠٠ مليون دولار، لأه، ونصيب الحزب كمان، لكن هتروح منيي فين إنت عارف إنه إيدي طايلة حتى اللي بره مصر. وأخذ يضحك.

- والي: نصيبك محفوظ يا باشا، ونصيب الحزب كمان اللي لحم كتافنا كله من خيره، بس أنا عايز أرجع مصر يا باشا مشروعاتي، ومصالحي كلها هناك.

- فهمي الدستوري: وفلوسك كلها هنا يا والي..ع العموم ارجع يا والي ارجع.

- والي: إزاي يا باشا، اسمي في كل المطارات؟!

- فهمي الدستوري: إرجع يا والي ومتخفش.

- والي: طب أدخل البلد إزاي معاليك؟

- فهمي الدستوري: إزاى..! أنا البلد يا والي

ترك فهمي الدستوري والي خلف ظهره، وذهب لمتابعة الحفل، واقترب تامر من فهمي الدستوري فهنَّأه للمرة الثانية.

- فهمي الدستوري: بالمناسبة يا تموره هو الفرح اتكلف كام؟

- تامر: ٥ مليون دولار يا باشا.

- فهمي الدستوري: بس،، طب قول لبابا اضرب في عشرة "ضحكات عالية تاركًا تامر أيضا خلفه"، لم يفهم تامر شيئًا مما قصده فهمي الدستوري، وبدت عليه كل علامات وملامح الجهل بالشيء، وذهب إلى والده، وأخبره بما قاله له فهمي الدستوري، فابتسم والده وادَّعى أنها مزحة.

وقبل انتهاء الحفل بساعة تقريبًا تهيأ فهمي الدستوري للمغادرة:

- والي الحقاني: شرفت يا باشا النهارده، ومجيك فرنسا مخصوص جميل طول العمر.

- فهمي الدستوري: شكرًا يا والي، بقولك إيه

- والي: أؤمر يا فندم

- فهمي: بلاش تنزل مصر إنت دلوقتي، خليها كمان شهر، لكن ممكن تخلي تامر، والهانم والدته يسبقوك وبعدهم تعالى إنت لوحدك عشان محدش يحس بينا يا والي ولا إيه.

- والي: حاضر يا باشا.

وفي اليوم التالي للحفل خرجت الصحف الفرنسية تشيد بحفل ثري مصري بلغت تكلفته ٥ مليون دولار فقط لا غير.

اقترحت نورا على حازم ألا يحتفظ بالمستندات وحده فقط، وأخبرته بأنها شاهدت أكثر من مرة شخصًا غريبًا يقف بالقرب من العقار، وبمجرد مغادرة حازم لمنزله وذهابه للعمل يلاحقه هذا الرجل، وأصابتها الريبة والخوف وقالت له إن والي الحقاني وشاكر الأناضولي لن يتركاه إلا إذا حصلا على أوراقهما، ودلائل إدانتهما كاملة، وليس صعبًا عليهما أن يفعلا بحازم مثلما فعلا بصديقه أو أستاذه، كانت تخشى عليه كثيرًا، وكذلك كانت تخشى على المستندات من حصولهما عليها قبل أن ينالا عقابهما.

استجاب حازم لرغبة عشيقته، وعلى الفور اتصل بهند عبادي، وغادة مجدي طالبًا رؤيتهم في جريدة "الشارع المصري".

وهناك تم الاتفاق على أن تكون الأوراق والمستندات موزعة بين ثلاثتهم خشية أن يحدث شيئًا لأي منهم، لاسيما بعد أن أخبرته هند بأنها مراقبة أيضًا من قبل شخص مجهول الهوية يتابع تحركاتها خطوة بخطوة تمامًا مثلما يحدث معه، وكذلك أكدت لهم غادة.

في الوقت ذاته كان قد وصل إلى الجريدة متأخرًا محمود علام، والذي استنكر كثيرًا احتفاظهم بالمستندات خاصة بعد مقتل منصور، ثم اختطاف الغلبان.

- محمود: إحنا ليه محتفظين بالورق ده يا حازم؟ المفروض كنا قدمناه للبوليس من الأول خالص، ليه عملنا كده؟ كان ممكن منصور لسه عايش لو عملنا ده، إحنا مش أد الناس دي عشان نلاعبهم يا حازم.

- حازم: مكناش نعرف إنه الأمور هتوصل لكده يا محمود.

- محمود: ماشي يا حازم، طب بعد منصور ليه مسلمناش الورق للنيابة، أو حتى النائب العام؟ فيه إيه أكتر من موت صاحبك يا حازم، قوللي.

- حازم: قلت مش بس نحبسهم، كمان نفضحهم فرحنا كلنا للأستاذ عبد الحليم الغلبان وإنت عارف أد إيه هو وجورناله مؤثر حتى على قرارات الحكومة.

- محمود: طيب، أهو الغلبان نفسه خطفوه وكان ممكن يموتوه ويخفوه للأبد يا أستاذ، إحنا ولا حاجة بالنسبة للناس ديه، ولا حاجة يا حازم.

- حازم: طب ما تاني يوم لما رجع الأستاذ عبد الحليم كان والي الحقاني هربان بره مصر بالفلوس، لو قدمنا الورق للنيابة هتجيب والي منين، وهتعمل بالورق إيه؟

- محمود: هتعمل بالورق إيه، إنت مالك إنت، هو إحنا اللي هنعمل، كنا حمينا منصور من الموت، ولا عبد الحليم الغلبان من الخطف، إنت، أو أنا، أو هند، أو غادة، أو مروة، أو أبو بكر ممكن يحصله اللي حصل لمنصور في أي لحظة، وبقولهالك لتاني مره يا حازم إحنا مش أد الناس دي.

اتفق الأصدقاء على أن غدًا باكرًا سوف يذهبون إلى النائب العام شخصيًّا لتسليمه الأوراق والمستندات التي تدين والي الحقاني ومستشفاه، وفي الوقت نفسه تكشف حقيقة اختطاف عبد الحليم الغلبان ومقتل منصور العباسي.

في ليلة ممطرة –كان قد عاد تامر والي إلى أرض الوطن– خلت إلا من أصوات السيارات، كان تامر في طريق عودته من أحد مقاهي المهندسين أقرب الأحياء والأماكن إلى المنصورية هو وزوجته بعد قضاء سهرة خاصة مع أصدقائه يحتفلون به بعد زواجه وعودته من باريس.

انطلق تامر بسيارته في طريق عودته إلى منزل والده بالمنصورية، وقبل اكتمال طريقه بقليل خرج عليه جاسر العباسي، وأبناء عمومته في منطقة هي أشبه بشريان مقطوع، فلا حياة فيها ولا صوت إلا أصوات الضفادع هناك تأتي على استحياء، وانهالت عليه وعلى سيارته طلقات النيران من كل مكان، فلا يتراءى لك منها إلا فتحات وثقوب شكلتها طلقات الرصاص.

غادر جاسر وأبناء عمومته هذا المكان وانطلقوا بسيارتهم، وعلى الفور اتصل بوالده الحاج إبراهيم العباسي يخبره، ثم أجرى اتصالًا ثانيًا بشاكر الأناضولي حيث حصل جاسر على أرقام هواتفه من ضابط المخابرات عمر عبد اللطيف صديق حسام.

- جاسر: بلغ الباشا بتاعك إنه إحنا مبنسيبوش تارنا واصل، وإنه دمنا غالي قوي يا واطي.

- شاكر: مين بيتكلم؟ الو، الو "انقطاع الخط"

ارتباك وخوف ألم به وشرود في عينيه، من الذي كلمه وماذا يقصد؟ لم يستطع التركيز وعجز عن التفكير لبرهة ثم سارع بالاتصال بوالي الحقاني.

- شاكر: أيوه يا باشا، فيه واحد كلمني من شويه وقالي كلام غريب يا فندم

- والي: كلام غريب

- شاكر: أيوه يا فندم بيتكلم عن تار ودم ولهجته صعيدي يا باشا ومفهمتش منه حاجة.

- والي: تار ودم، هو الولد الصحفي اللي انت اتخلصت منه منين يا شاكر؟

- شاكر: منصور العباسي.

- والي: أيوه يا حيوان، الولد ده منين؟

- شاكر: من الصعيد يا فندم

- والي: وملقيتش غيره يا بني آدم

- شاكر: فيه إيه يا فندم؟ أنا مش فاهم

- والي: اتصل بتامر بسرعة شوفه فين، بسرعة بسرعة يا حيوان.

أسرع شاكر الأناضولي في الاتصال بتامر ما يزيد عن عشرين محاولة لكنه لم يرد فقام بالاتصال به على هاتف زوجته، ولكنها أيضًا لا ترد، فاستدعى كل رجال الحراسة وأمرهم بالبحث عنه في كل الأماكن التي يتردد عليها في القاهرة، وألا يعودوا إلا وهو معهم.

انطلقت سيارات الجيب محدثة خلفها عاصفة من تراب في طريقها للبحث عن تامر وزوجته، ولم تكتمل الدقائق الثلاث حتى عثر رجال الحراسة على سيارة تامر في طريق عودته للمنزل، ولكن كانت قد وقعت الواقعة.

استيقظ حازم الديب على صوت هاتفه الشخصي- الذي لا يتوقف، فأسرع للإجابة ليجد هند عبادي:

- حازم: صباح الخير يا هند

- هند: حازم إنت لسه نايم، مقريتش الصحافة

- حازم: خير يا هند

- هند: خير، تامر والي الحقاني اتقتل إمبارح بالليل هو ومراته

- حازم: إيه، بتقولي إيه؟!!

- هند: تامر الحقاني ومراته اتقتلوا، كل الصحف ناشره الخبر

- حازم: هند بلغي محمود، ومروة، وغادة محدش ينزل النهارده، والمشوار إتأجل، وأنا هكلم أبو بكر ميجيش من كفر الشيخ دلوقتي، ربنا يسترها.

كانت نورا بجواره، بدت عليها علامات القلق والخوف والاضطراب وسألته:

- نورا: فيه إيه يا حازم؟

التفت إليها، ولم يرد واكتفى بضمها إليه في حضن لم يسبق وأن شعرت نورا بحرارة مثله من قبل، وأخذ يتمتم ويقول: ربنا يسترها.

هنا عادت له أفكاره ووساوسه عن عائلة العباسي، فقد أهابه كثيرًا حزنها على منصور، واسترجع ما لها من هيبة وثقل عظيم في صعيد مصر وأن مقتل أحد أبنائها ليس بالأمر اليسير وهذا ما أكدته له سلفًا كلمات الحاج إبراهيم العباسي.

ألم بألم، سرادق بسرادق، وعزاء بعزاء، لكن اختلف مضمون هذا السرادق كثيرًا عن سرادق عزاء منصور، فقد اشتمل على كل الكبار، منهم من أتى مشاركًا والي الحقاني في حزنه، ومنهم من أتاه شماتة وآخرون جاؤوه خوفًا، وقبل ذلك بأيام معدودة كان هؤلاء الكبار مجتمعين في قاعة ملكية، وعلى أصوات الموسيقى الغربية يقضون ليلة من ألف ليلة وليلة، واليوم أيضًا يجتمعون ولكن مع صوت أحد المقرئين.

- والي: مين اللي عملها يا شاكر، مين اللي جاتله الجرأة في البلد دي ويقتل ابن والي الحقاني، مين..؟

- شاكر: الصوت اللي كلمني بيقول مفيش غيرهم يا فندم.

- والي: عيلة الصحفي.

- شاكر: التحريات اللي جاتلي يا فندم بتقول إنهم عيلة تقيلة قوي في سوهاج.

- والي: أنا هبيدهم، هبيد العيلة دي يا شاكر.

- شاكر: صعب يا باشا.

- والي: صعب، إنت اجننت، اجننت يا شاكر، مفيش حاجة في الدنيا صعبة على والي الحقاني، إنت فاهم، مفيش حاجة في الدنيا ولا البلد دي صعبة عليا.

وأرخص حاجة عندي هي البني آدم يا شاكر، إنت فاهم، أرخص حاجة عندي إنت وغيرك يا حيوان.

- شاكر: أنا آسف يا فندم بس دي الحقيقة، العيلة دي تبيد بلد.

- والي: إنت بتقول إيه يا مجنون.

- شاكر: إحنا غلطنا يا فندم لما قتلنا الولد ده، كان المفروض نتخلص من الزعيم بتاعهم.

- والي: تقصد مين..؟

- شاكر: حازم الديب يا فندم.

- والي: حازم الديب، أيوه.. الصحفي ده متطلعش عليه شمس فاهم يا شاكر متطلعش عليه الشمس، مستني إيه غور من وشي.

- شاكر: حاضر يا فندم.

سيارة جيب ضخمة يحجب زجاجها عن الناظرين معرفة ما بداخلها فقد اكتسى بالسواد، تمامًا مثل لونها.

وأمام العقار رقم ١٨ بشارع الشهداء بحي الفسطاط كان مقرها، ولارتفاعها عن الأرض هبط منها أربعة من الكائنات الحية تراهم بشرًا، وأجسادهم تقول إنهم أربعة من الأفيال تربت ونشأت في غابات استوائية في إفريقيا الوسطى.

بدل سوداء ونظارات أشد سوادًا أخفت تقريبًا أنصاف وجوههم، اتجهوا ناحية حارس العقار وسأله أشرسهم: فين شقة الأستاذ حازم..؟

فأجابه الحارس متهتهًا في غير تركيز: في الدور الثامن فصعدوا، وفي أقل من خمس دقائق كانوا قد تركوا العقار وغادروا بسيارتهم مسرعين.

ولم تمضِ سوى عشر دقائق على مغادرتهم -كان حازم الديب قد ترك هو الآخر منزله منذ دقيقة واحدة في طريقه إلى العمل- ثم وقع انفجار مدوٍّ بالعقار.

(٣)
قسم شرطة مصر القديمة

- حازم: عشان كده أنا المقصود يا فندم مش حازم فهيم، أنا المقصود.
- الضابط: فهمت يا أستاذ حازم.

كان مع حازم الديب مروة، وهند، ومحمود علام، وغادة، وأبو بكر محمود حيث تم تسليم المستندات والأوراق، وأصدرت النيابة أوامرها باستدعاء كلٍّ من شاكر الأناضولي، ووالي الحقاني بعد حصولها على المستندات.

ولارتباط القضية بأحد الكبار تم تحويلها إلى مكتب النائب العام، وصدر الحكم بإغلاق مستشفى والي الحقاني مع السجن عشر سنوات لصاحبها تامر والي الحقاني، ولأنه في عداد الموتى فقد سقط الحكم، أما بالنسبة إلى مقتل كلٍّ من منصور العباسي، وتامر الحقاني، وحازم فهيم فلا توجد أدلة مادية كافية لاتهام أحد بعينه، وأخذت النيابة تعهدًا كتابيًّا على والي الحقاني، وشاكر الأناضولي بعدم التعرض

لأيٍّ من الصحفيين: حازم الديب، مروة الشرقاوي، أبو بكر محمود، هند عبادي، محمود علام، وغادة مجدي، وأنهم مسؤولون مسؤولية كاملة عن حدوث أي ضرر لأي منهم، هذا وقد سجلت قضايا القتل الثلاث ضد مجهول.

انتهت بحمد الله

٥ أغسطس ٢٠٠٩ ميلادية

نوع آخر من الكبار يختلف عن أولئك الذين حاربهم عبد الناصر عقب الثورة مباشرة بالقضاء على أملاكهم من الأطيان والأراضي وتوزيعها على الفلاحة والبسطاء..

نوع آخر من الكبار يختلف أيضا عن أولئك الذين تغلق لهم الشوارع وتجمد لهم الحياة ويتحول البشر من أجل سلامة مرورهم إلى كلاب محنطة بالساعات في شوارع مقفرة.

ونوع آخر من الكبار، لكنه أشد شراسة وأكثر سطوة وقوة ونفوذ.

نوع آخر من الكبار واقطاعي الثروة والمال الذي تكدست به بنوك أوربا والغرب، حتى لو عاد عبد الناصر نفسه لن يستطيع أن يقضي على سطوتهم وثرواتهم.

نوع آخر من الكبار نجحوا في مصاهرة المال بالسلطة والسياسة في زواج غير شرعي فأنجبوا كل الفساد.

دار سرح سطرة
www.dar-sarh.com
Email: darsarh@gmail.com
ISBN978-977-6382-76-3